أصداء في الحقول

أصداء في الحقول

دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
١١٣ زوتشيه (٢٠٢٤)

توطئة

كانت أمنية الفلاحين الكوريين، الأمنية العارمة المتوارثة منذ القدم هي أن يزرعوا الأراضي الخاصة بهم بملء رغباتهم.

إلا أنهم اضطروا إلى معاناة المصير البائس ردحا طويلا من الزمن لافتقارهم إلى قطعة من أراضيهم الخاصة، حتى وصل الأمر بهم إلى حد التعرض للاستغلال والاضطهاد المزدوج والمثلث في تلك الفترة المحرومة من البلاد.

تحققت أخيرا أمنية الفلاحين التي كانوا يتصورونها في الأحلام فقط، لأن الأراضي وزعت عليهم دون مقابل بفضل الزعيم العظيم الرئيس كيم إيل سونغ الذي استعاد البلاد المغتصبة وحرص على ممارسة الإصلاح الزراعي.

كان الرئيس كيم إيل سونغ يناقش الشؤون الزراعية مع الفلاحين وهو يواصل سلوك الدروب الريفية الوعرة طوال حياته من أجل تسوية أمنيتهم الدهرية وتوفير الحياة الأكثر رغدا لهم، كما كان في حقول المزارع حتى في آخر فترة من حياته.

في تلك الأيام، حدث الأمر المثير من غرسه شتلات الأرز مع الفلاحين في سهل ميريم في ذلك اليوم الربيعي الذي لا ينسى، والقصة المؤثرة عن طرحه طريقة التغلب على الجفاف

في الصيف وهو يقف على طرف الحقل الذي تعرض للجفاف غير عابئ بأشعة الشمس اللافحة.

علاوة على ذلك، كانت هناك البهجة في يوم الخريف عندما زار حقول المزرعة التي شهدت حصادا وفيرا ليشاطر الفلاحين الأفراح، والقصة المشهودة عن مناقشته في الاستعداد لزراعة العام القادم في يوم الشتاء وهو يمشي على طريق الحقول المغطاة بالثلج.

نورد فيما يلي بعضا من تلك القصص الكثيرة التي خلفها الرئيس كيم إيل سونغ على طريق توجيهاته الميدانية.

فهرس

واقع لا حلم ٦
دفع ثمن الشعيرية بنفسه ٩
نقل الخطوات إلى بيت الفلاح ١٢
عشية إصدار قانون الإصلاح الزراعي ١٤
الأرض لمن يفلحونها ١٦
تعليق اللوحة البابية شخصيا ١٧
في أحد مطاعم الشعيرية ١٩
تبادل الحديث على طرف الحقل ٢٢
من ذلك الرجل؟ ٢٥
تأثر ممثلي الفلاحين ٢٨
زيارة بيت الفلاح ٣٠
غرس شتلات الأرز مع الفلاحين ٣٢
صورة التقطت مع حزمة القمح ٣٤
وعد معقود مع الفلاحة ٣٦
خفض ثمن الماء ٣٩
ثوران وحل وسط ٤١
يوم واحد في القرية الجبلية ٤٣

طيور الدرّسة الستة ٤٨
عجوز حقق رغبة عمره ٥١
سبب زيارة بيت الفلاح ٥٣
حظ عجوز ذو أكثر من ٥٠ من أفراد الأسرة ٥٥
رسم خط قنوات المياه الممتدة إلى ٥٠٠٠ ري ٥٧
تحويل وجهة السيارة ٦٠
تناول وجبة العشاء مع الفلاحين ٦٣
توعية تفوق المكننة ٦٥
أول سائق جرارة في البلاد ٦٧
تبادل الحديث مع التربين الاثنين ٦٩
الدرس في وادي ريمسونغ ٧١
أقرباء الرئيس يشتغلون بالزراعة ٧٣
المزارع الفخري ٧٤
نقل امرأة ريفية بالسيارة ٧٦
«على كل حال ستعطيان بعض الشيء» ٧٨
تنبيه الرأي القديم ٨٠
جالسا معا على ضلع حقل الأرز ٨١
هؤلاء بالذات دكاترة ٨٣
أول خطوة متروكة على أراضي المد ٨٥
الحصص الموزعة لأعضاء التعاونية ٨٧
«كلما أزور هنا قضاء موندوك ينزل الثلج» ٨٩
نموذج الثوري الريفي ٩١

«أيها الرفاق، سأساعدكم فكونوا أغنياء حتما» ٩٤
مشاطرة الفلاحين السرور ٩٦
جر الجرارة بالسيارة..... ٩٨
صاحب العمل في بناء قرية أوغوك..... ١٠١
تحقيق الرغبة ١٠٣
صورة تذكارية ١٠٥
حدث مبارك في قرية الجزيرة ١٠٧
أسرة المكننة ١٠٩
الثورة في زراعة الأرز ١١١
مشاهدة القيادة التجريبية للجرارة ١١٣
سبب عدم مغادرة الحقول ١١٥
«المستشار» الزراعي في سهل يونبايك..... ١١٧

واقع لا حلم

في أحد أيام شباط/ فبراير عام ١٩٤٦، دعا الرئيس كيم إيل سونغ الذي كان يمر بالتجمع السكني في قرية سينمي إلى إيقاف السيارة أمام بيت قريب من الطريق ودخل فناءه لينادي صاحبه.

لم ينتبه صاحب البيت إلى أن من يقف أمامه مبتسما ابتسامة عريضة هو الرئيس كيم إيل سونغ، فاستقبله بحفاوة ظنا منه بقدوم أحد الكوادر.

دخل الرئيس برفقته الغرفة الصغيرة دون تكلف وجال بعينيه مرات عديدة فيما حوله وهو يشعر بألم فؤاده أمام وضع فلاحينا الذين كانوا يعيشون في فقر مدقع.

لم تكن في الغرفة سوى خزانة صغيرة فوقها بضع اللحف.

آنذاك، دخل الكادر الغرفة ومعه عدة الفلاحين.

قال الرئيس:

- تفضلوا بالدخول. اجلسوا براحة.

سأل الرئيس أحدهم الجالس أمامه عما إذا كان يملك الأرض وعدد أفراد أسرته.

أجابه الفلاح :

- ليس لديّ الأرض ولو شبرا واحدا. وعدد أفراد أسرتي خمسة.

- هل سمعتَ خبرا بمصادرة أراضي الإقطاعيين وتوزيعها على الفلاحين الذين لا يملكون الأرض؟

- سمعت ذلك ولكن لا أعرف إن كان حقيقة أم لا.

نظر الرئيس مبتسما إلى الفلاحين الذين يهزون رؤوسهم في استغراب وهم يتبادلون نظراتهم وسألهم مجددا:

- هل أنتم مستعدون لقبول الأرض إذا صادرتها البلاد من الإقطاعيين ووزعتها على الفلاحين الذين لا يملكونها؟

- أجل، سنأخذها عن طيب خاطر. حبذا لو تحقق ذلك الحلم الذي كنا نراه في المنام منذ زمن بعيد. ولكن هل يأتي ذلك الأمر بسهولة؟

ضحك الرئيس مقهقها لدى سماع كلامهم وقال ما يلي:

- إذا كان ذلك مطلبا للفلاحين، نود أن نصادر كافة أراضي الإقطاعيين ونوزعها مجانا على الفلاحين الذين يحرثونها. في الأصل، إن الأرض هي ملك لمن يفلحونها. ومع ذلك، لم يصبح الفلاحون لحد الآن أصحابا للأرض لأن العالم انقلب رأسا على عقب. الآن تحررت بلادنا فيتعين علينا إعادة العالم المقلوب إلى نصابه ليعيش الفلاحون حياة رغيدة مع مزاولة الزراعة في الأراضي الخاصة بهم.

خيل إلى أحد الفلاحين أن هذا أمر أشبه بالحلم فقال للرئيس:

- سمعت أن البلاد ستوزع الأرض قريبا. إذن، هل تعطيها لمن لا يملك الأرض ولو شبرا واحدا مثلي؟

أجابه الرئيس وهو يمسك يده بشدة بأن البلاد تخطط لإعطاء الأرض أولا للفلاحين الذين يعيشون في عسر دون شبر واحد من الأرض مثله.

انفجرت صيحات التهليل من أفواههم في وقت واحد.

آنذاك، سأله الفلاح الآخر في تردد:

- ولكن يمكن للإقطاعيين شراء الأراضي مجددا لتأجيرها للفلاحين، أليس كذلك ؟

- سيتلاشى نظام التأجير للأبد في بلادنا. لن يعود ينبعث الإقطاعيون.

ستمارس الدولة الإصلاح الزراعي على أساس مبدأ مصادرة الأراضي دونما تعويض، وتوزيعها مجانا على الفلاحين.

- يا له من أمر يشبه الحلم.

- المطلوب أن نعيش عمرا مديدا في هذا العالم الرائع.

قال الرئيس وهو يجول ببصره على الفلاحين الذين خرجوا عن طورهم من الفرح والبهجة:

- في الماضي، بقي فلاحونا الذين اغتصب الأوغاد اليابانيون بلادهم يعيشون في ظل الإذلال والاحتقار غير الإنساني. إلا أن فلاحينا المتحررين سيعيشون حياة سعيدة كونهم أصحابا للبلاد والأرض. فينبغي عليكم جميعا الثقة بحتمية قدوم ذلك العالم وتكثيف النضال ضد الملاك العقاريين متحدين بعضهم مع بعض.

كان الفلاحون في غاية السرور والحبور لإمكانية تحقيق أمنية عمرهم في امتلاك الأراضي الخاصة بهم، لكنهم لم يتعرفوا على هوية من جاءهم لتحقيق الأمنية الدهرية للفلاحين في هذا البلد.

دفع ثمن الشعيرية بنفسه

حدث هذا الأمر في وقت الغداء في أحد أيام شباط/ فبراير عام ١٩٤٦.

قطع بضع السيارات الطريق المؤدي من بيونغ يانغ إلى سينويزو وتوقفت أمام مطعم الشعيرية القريب من الطريق.

نزل رجل شاب طويل القامة من السيارة ودخل باحة المطعم لينادي صاحبه قائلا:

- يا سيدي، زرتك لأني سمعت أن هذا البيت مشهور بتحضير الشعيرية اللذيذة.

دخل الرجل الغرفة البسيطة التي تنم عن الفقر وسأل صاحب البيت بحنان وعلى محياه ابتسامة عريضة:

- كيف استطعت أيها الجد إنشاء مطعم الشعيرية هنا؟

- حرصا على كسب المال مع مزاولة الزراعة بسبب فقري المدقع...

- هل أصبحت حياتك تتحسن بعض الشيء نتيجة تحضير وبيع الشعيرية؟

- يرتاد مطعمي بعض المسافرين بين بيونغ يانغ وسينويزو ولكن ذلك لا يعود علي بتحسن يذكر.

تبادل الرجل أطراف الحديث مع عدد من الفلاحين الذين كانوا في الغرفة بشأن الزراعة دون أي فاصل بينه وبينهم وهو ينبههم إلى تقويم العالم المقلوب رأسا على عقب ليعيش الفلاحون برخاء عن طريق مزاولة

الزراعة في الأراضي الخاصة بهم لأن البلاد تحررت الآن.

عندما لم ينتبه الفلاحون إلى مرور الوقت افتتانا بحديثه الشيق والغني بالمعارف والذي يستمعون إليه لأول مرة في حياتهم، تناهى إليهم بغتة بلاغ من المطبخ بانتهاء إعداد الشعيرية.

هم الفلاحون بالنهوض من مكانهم سريعا خشية أن يسببوا له معوقات لأنه يبدو كادرا عالي المرتبة.

غير أنه دعاهم إلى أن يجالسوه إلى المائدة وهو يقترح عليهم مواصلة الحديث مع تناول الشعيرية، قائلا إنهم رووا اليوم قصة جيدة له.

دخل أحد مرافقيه الغرفة بزجاجة من الخمر أعدها مسبقا كما تقول الموعظة القديمة بأنه من الجيد شرب الخمر أولا قبل تناول الشعيرية.

دعاهم الرجل الشاب إلى شرب الخمر وهو يملأ أقداحهم واحدا تلو الآخر بدءا من صاحب المطعم.

قال صاحب المطعم:

- أشعر بالذنب لأني تلقيت كرم الضيافة من ضيف بيتي بدلا من تكريمه.

حين لم يعرف صاحب مطعم الشعيرية ماذا يفعل من شدة الشكر، قال ذلك الرجل وهو يضحك مقهقها لإزاحة الضيق من صدره:

- فيما بعد، سأعود مجددا لتلقي الضيافة عندما يعيش الفلاحون في هذه القرية حياة رغيدة. مهارة ربة بيت الشعيرية عجيبة، فيجب تحضير هذه الشعيرية الجيدة على نطاق واسع ليتناولها فلاحونا كثيرا. الضيوف الأكثر قيمة هم الفلاحون الذين يقومون بالأعمال الكثيرة من أجل البلاد.

(أ يقول إن فلاحينا هم الضيوف الأكثر قيمة ؟)

بعد برهات، فرغ الرجل من تناول الطعام وأعرب عن ثنائه المتكرر قائلا إن طعم الشعيرية طيب جدا، ثم طلب من مرافقه دفع ثمنها.

ذهل صاحب بيت الشعيرية ورفض ذلك قائلا إنه لا يتمكن من التعرف على هويته ولكنه لن يقبض أبدا ثمن الشعيرية واستطرد:

- لست مجنونا بالمال. على الأخص، إنه لأمر مذنب أن أتقاضى منك ثمن الطعام أنت الذي تثمن فلاحينا.

استمع الرجل الشاب إلى قوله الصادق وقدم إليه النصيحة وهو يشد على يده:

- لا بد من قبض ثمن الشعيرية. عندما يعيش الفلاحون هنا في بحبوحة فيما بعد، سأعود مجددا لأتناول الطعام بلا مقابل، ولكن عليك استلام المبلغ اليوم.

ثم وعده بالعودة إليه مرة أخرى.

لم يعرف صاحب بيت الشعيرية وسائر الفلاحين أن ذلك الرجل هو تحديدا القائد كيم إيل سونغ إلا بعد ما توارت سيارته بعيدا عن الأنظار فلاموا أنفسهم ضاربين ركبهم وهم يقولون:

- من المؤسف أن تلقينا الضيافة من القائد المشكور في عقر دارنا بدل أن نحييه لاستعادة وطننا...

نقل الخطوات إلى بيت الفلاح

ذات يوم في شباط/ فبراير عام ١٩٤٦، زار الرئيس كيم إيل سونغ إحدى القرى في قضاء دايدونغ بمحافظة بيونغآن الجنوبية غير آبه برداءة الطقس مع هبوب الرياح. نقل الرئيس خطواته إلى البيت المسقوف بالقش الذي يوحي له للوهلة الأولى بأنه فقير.

لم يعرف صاحب البيت ماذا يفعل من شدة الذهول في لحظة لقائه بالرئيس وهو يقول:

- لا أستطيع أيها القائد أن أرد لك الجميل على استعادة البلاد حتى إذا استقبلتك على حصير من الذهب فأشعر بالذنب حقا لاستقبالك على حصير حقير من الأسل.

دخل الرئيس الغرفة دون تكلف قائلا: لا بأس عليك.

بدت الغرفة المفروشة بحصير بال من الأسل ضيقة جدا، بالإضافة إلى ظلامها القاتم نتيجة إلصاق الورق على الباب.

إلا أن الرئيس جلس على هذا الحصير دون تكلف وسأل صاحب البيت بلطف عما إذا كانت تنقصه بذور البطاطا وهو يقول إنه يفتقر إلى المواد الغذائية في نظره، مشيرا إلى مائدة الطعام الموضوعة في ركن من الغرفة.

كانت على المائدة السلطانية التي تسع بضع حبات البطاطا المسلوقة التي تبدو أن أبقاها الأولاد عند الفطور. أجابه صاحب البيت:

- أيها القائد، بذور البطاطا متوفرة. قبل تحرر البلاد، عشنا على الكفاف ببيع الحطب والعمل بالأجرة لافتقارنا دائما إلى المواد الغذائية بعد

دفع بدل الإيجار. ولكن نشعر الآن بالشبع دون تناول الطعام حين نفكر في أننا سنعيش برخاء بفضل إنشاء عالمنا.

سمع الرئيس كلام صاحب البيت المفعم بالثقة وقال:

- ... عليك العيش في هناءة بزرع أرضك الخاصة من الآن وصاعدا.

في الأصل، إن الأرض هي ملك لمن يفلحها.

على الرغم من ذلك، بقي العالم لحد الآن مقلوبا رأسا على عقب منذ زمن بعيد. لنعد هذا العالم المقلوب إلى نصابه، ذلك الذي لا يملك فيه الفلاح الأرض الخاصة به رغم عمله بالدم والعرق على مدار السنة، بينما يملك الإقطاعي الكسول بدون أي عمل كثيرا من الأراضي.

سأله الرئيس عن مساحة الأراضي الزراعية التي يتمكن واحد من الأيدي العاملة الرجالية من تعهدها.

رد عليه صاحب البيت:

- يمكنه أن يتعهد ٣٠٠٠ بيونغ (١).

أكد الرئيس على أن الفلاحين الذين يعرفون جيدا عن الأراضي الزراعية أكثر من غيرهم يجب أن يغدوا مبادرين في الإصلاح الزراعي وأردف قائلا: إذا تم تنفيذ الإصلاح الزراعي سيحسن فلاحونا الزراعة مفعمين بالسرور لكونهم أصحابا للأراضي. إذا وزعت الأرض عليك، ينبغي لك إجادة زراعة هذا العام دون تركها سباتا.

- هل تود أيها القائد أن تعطي الأرض لفلاحينا فعلا؟ إذا سار الأمر كذلك، ستتحقق رغبة عمرنا في رأيي.

لم يكمل صاحب البيت كلامه من شدة التأثر والانفعال.

---

(١) بيونغ: وحدة مساحة كورية تساوي نحو ٣,٣ م٢

عشية إصدار قانون الإصلاح الزراعي

ذات يوم من أوائل آذار/ مارس عام ١٩٤٦، زار الرئيس كيم إيل سونغ قرية سينهونغ من ناحية كوبيونغ (آنذاك) في قضاء دايدونغ بمحافظة بيونغآن الجنوبية.

دخلت السيارة التي تقل الرئيس القرية وتوقفت أمام بيت عمته.

اجتمع أهالي القرية كافة فور سماعهم نبأ مجيئه.

جلس الرئيس على الحصير من القش دون تكلف ودعا أولئك الواقفين في الخارج إلى دخول الغرفة قائلا:

- تفضلوا جميعا بالجلوس!

استفسر الرئيس أولا عن وضع القرية.

كانت معنويات الفلاحين في قرية سينهونغ عالية في ذلك الحين.

سعى الإقطاعيون بيأس خوفا من عدم تلقي ثلاثة أعشار المحصول نتيجة النضال لتطبيق نظام المحاصصة بنسبة ٧:٣، إلا أن الفلاحين كانوا يسرعون في تحضير زراعة ذلك العام متصدين لهم بتضافر القوى.

بعد أن استمع الرئيس إلى هذا الجواب، عبر عن رضاه الكبير وسأل زوج عمته:

- كيف حالة الأراضي الزراعية في القرية؟ هل تكون صالحة للزراعة؟

- الأراضي الزراعية لا بأس بها، كما أنها صالحة للزراعة.

- كم عدد الإقطاعيين في القرية؟

- هناك الإقطاعيون ولكن معظم أهالي هنا استأجروا أراضي الإقطاعي الساكن في مدينة بيونغ يانغ على نطاق واسع.

- أيهما أفضل بين مصادرة الأراضي الزراعية وتوزيعها بلا مقابل وبين استلامها وتحويلها إلى ملكية خاصة من خلال التقسيط؟

- أرى من الأفضل مصادرة الأراضي الزراعية وتوزيعها دون تعويض.

بعد أن سمع الرئيس جواب زوج عمته، دار بعينيه على أهالي القرية وقال:

- عانى فلاحونا كثيرا في فترة حكم الإمبريالية اليابانية. لو تعاطى فلاحونا الزراعة باستلام مساحة كبيرة من الأراضي الزراعية فيما بعد لأصبحوا يعيشون حياة رغيدة. يتعين على الكوادر في أجهزة السلطة الشعبية أن يعملوا جيدا.

ثم نبه أولئك الكوادر إلى رفع وظيفتهم وأداء دورهم على خير وجه وقال:

- إذن، لنذهب الآن إلى الخارج لمتابعة حقول هذه المنطقة.

صعد الرئيس على الرابية خلف بيت عمته وقال:

- الحقول لا بأس بها نسبيا.

هبط الرئيس من الرابية بعد ملاحظة حتى الحقول المزمع توزيعها على الفلاحين وقال للمرافقين:

- مر الوقت كثيرا، فلنغادر الآن.

تألمت عمة الرئيس على توديعه دون ضيافة رغم مجيئه بعد فترة طويلة فتوسلت إليه الجلوس لبعض الوقت، إلا أنه اعتذر عن ذلك حتى النهاية قائلا:

- سأعود لاحقا.

غادر الرئيس كيم إيل سونغ مودعا على هذا النحو وأصدر قانون الإصلاح الزراعي التاريخي في يوم ٥ من آذار/ مارس.

الأرض لمن يفلحونها

انصرف العاملون في قضاء دايدونغ بمحافظة بيونغآن الجنوبية أيضا بسرور كبير إلى الإصلاح الزراعي فور إصدار القانون الخاص به.

بيد أن أعماله لم تسر كما كانوا يرغبون فيه لأنه لم يسبق لهم جميعا القيام بها. كانت أهداف مصادرة الأراضي متباينة بعضها عن بعض، فضلا عن اختلاف الأشخاص المستهدفين لتوزيعها من شخص لآخر وتنوع الأراضي، فلم تتطابق الآراء حتى بين أعضاء اللجان الريفية.

مما زاد الطين بلة أن بعض الفلاحين شككوا في الإصلاح الزراعي مخدوعين بالشائعات المضللة التي يروجها الرجعيون.

في أحد أيام آذار/ مارس عام ١٩٤٦ من تلك الفترة، توجه الرئيس كيم إيل سونغ إلى قرية في قضاء دايدونغ.

آنذاك، صارحه رئيس اللجنة الريفية في القرية بقلقه قائلا:

- من الصعب أن أتحمل العمل الشاق والمعقد كالإصلاح الزراعي لافتقاري إلى المعارف.

بعد قليل، اجتمع حتى العجائز في القرية بعد سماعهم خبر قدوم الرئيس.

دعاهم جميعا إلى الجلوس في أقرب مكان منه وسألهم عن انطباعاتهم عن الإصلاح الزراعي.

- كانت أمنية عمرنا نحن الفلاحين هي مزاولة الزراعة في الأراضي

الخاصة بنا. تحققت هذه الأمنية بفضلكم، أيها القائد، فلن نتحسر على شيء حتى ولو متنا الآن.

هموا بتقديم الشكر للرئيس بانحناءة من الرؤوس معبرين بصراحة عما في قرارة نفوسهم، لكنه ما لبث أن نهاهم عن ذلك وقال:

- إني أيضا في غاية السرور وأنا أراكم مسرورين بتلك الدرجة. ومع ذلك، لم أكن أعطيكم الأرض، بل استعدتم الأراضي الخاصة بكم أنتم أصحاب الأرض الأصليون.

من سيكون صاحبا للأرض ما عدا الناس الذين كانوا يزرعون الأرض مع الحرث والبذر؟ الأرض ملك لكم أنتم الذين تفلحونها.

في تلك اللحظة، انفجرت صيحات الإعجاب من أفواه الحضور.

تعليق اللوحة البابية شخصيا

حدث هذا الأمر في أحد أيام آذار/ مارس عام ١٩٤٦ حين زار الرئيس كيم إيل سونغ إحدى القرى في قضاء دايدونغ بمحافظة بيونغآن الجنوبية.

سأل الرئيس عن مكان البيت الذي كان يسكنه الإقطاعي الكبير قائلا إنه سمع أنه في جوار هذه المنطقة، واقترح التوجه إليه.

تأمل البيت الذي يبيّن مدى ترف حياة الإقطاعي الذي كان يعتصر دماء وعرق الفلاحين ومحيطه ودخل إلى فنائه من بوابته.

لم يكد يعبر البوابة حتى هرول إليه جميع الناس الذين كانوا أجراء في هذا البيت ليحيوه راكعين على ركبهم.

أنهضهم الرئيس ونقل خطواته ببطء إلى فناء البيت الداخلي.

تحلق الفلاحون في القرية حوله كأفراد أسرة واحدة.

دعا الرئيس العجائز الجالسين على المصطبة مرارا إلى أن يدخلوا جميعا إلى الغرفة.

بناء على دعوته، دخل الغرفة حتى المسنون الذين هرموا في هذا البيت وهم يعملون أجراء على مدى العمر، لكنهم جثوا في حيرة واضعين أيديهم على ركبهم، كما اعتادوا على العيش بانحناء الظهور طوال حياتهم تحت وطأة الاستغلال والاضطهاد للإقطاعي.

قال الرئيس:

- في بيتي أيضا جد متقوس الظهر وهو يزرع الأرض طوال حياته مثلكم.

أرجوكم أن تجلسوا براحة البال دون أي حذر.

خاطبهم هكذا لأنه تألم جدا بسبب استمرار الوضع البائس للفلاحين حتى الآن والذي شاهده منذ طفولته بعد أن ولد في البيت المنخفض المسقوف بالقش في مانكيونغداي.

استفسر الرئيس من الفلاحين الذين ستوزع لهم الأراضي عن مشاعرهم تجاه القرار بمنحهم إياها بلا مقابل.

قالوا له إنهم لا يعرفون كيف يعبرون عن سرورهم.

حين سمع الرئيس كلامهم الصادق، ابتسم ابتسامة عريضة واطلع على مساحة الأراضي المخطط توزيعها لهم، ثم قال:

- ...

قبل التحرر، أكل الإقطاعيون والرأسماليون ملء بطونهم وعاشوا حياة مترفة عن طريق استغلال العمال والفلاحين، ولكن اليوم بعد

التحـرر، خليـق بعمالنـا وفلاحينـا أن ينعمـوا بحيـاة رغيـدة ويمكـن لهـم أن يصبحـوا كذلـك فيمـا بعـد.

مسح العجائز دموعهم وهم يتلقون معاملة إنسانية لأول مرة في حياتهم.

فـي ذلـك اليـوم، كتـب الرئيـس بيـده اسـم الفـلاح الـذي كان خادمـا فـى بيـت الإقطاعـي علـى اللوحـة البابيـة وعلقهـا علـى بوابـة البيـت.

بـدا للفـلاح أنـه لـم يكـن أمـرا حقيقيـا أن أضحـى صاحـب هـذا البيـت الكبيـر لأنـه عـاش كل يـوم بطريقـة أقـرب إلـى المـوت منهـا للحيـاة وهـو يتعـرض للاحتقـار منـذ ولادتـه، فرفـع بصـره إلـى اسـمه المكتـوب علـى اللوحـة البابيـة مـرة بعـد مـرة وقـد اغرورقـت عينـاه بالدمـوع.

ثـم اصطحبـه الرئيـس إلـى السـهل وأوصـى باختيـار الحقـل الأكثـر خصوبة لتوزيعـه عليـه، داعيـا إيـاه إلـى زرع هـذا الحقـل إلـى الأبد.

في أحد مطاعم الشعيرية

ذات يـوم فـي آذار/ مـارس عـام ١٩٤٦، فوجـئ الرئيـس كيـم إيـل سـونغ بلقـاء زميلـه فـي مدرسـة تشـانغدوك وهـو علـى طريـق العـودة مـن التوجيـه الميدانـي لقضـاء كانغسـو(آنذاك) بمحافظـة بيونغـآن الجنوبيـة للاطـلاع علـى سـيرورة تطبيـق الإصـلاح الزراعـي.

اقترح الرئيس عليه تناول الطعام معا ودعاه إلى أحد مطاعم الشعيرية.

بعد دخوله المطعم، جلس الرئيس إلى المائدة مع أحد العجائز.

كان المطعـم يضـج بضحـكات وصيـاح وأحاديـث الزبائـن المنفعليـن، بينمـا كان الإصـلاح الزراعـي يأخـذ مسـاحة أكبـر فـي حديثهـم، مثـل رقـص أحـد

طوال الليل متجولا في كل أنحاء القرية بعد تسلم ٤٠٠٠ بيونغ من الأرض الخصبة، وزواج عازب تجاوز الأربعين من عمره فضلا عن استلام الأرض إلى أن غيّر مصيره ... .

لكن العجوز الذي كان يجلس قبالة الرئيس ألقى نظرة إلى خارج النافذة فقط وعلى وجهه ابتسامة دون أن يفكر في تناول الشعيرية وشرب الخمر المقدم إلى المائدة لسبب ما. كان في الخارج عجل رائع مربوط بالوتد.

رمقه الرئيس باسما ودعاه إلى تناول الشعيرية وهو يدفع قصعتها نحوه:

- الشعيرية ترخو. تفضل كل.

- شكرا. لا يهمني رخوها فلنتركها وشأنها لأن كل شيء لنا الآن...

- كلامك رائع جدا.

ارتفعت معنوياته بهذا الكلام وطفق يسترسل في الحديث عن الأمور التي لم يسأله الرئيس عنها وهو يقول إنه استلم هذه المرة ٣٠٠٠ بيونغ من الأرض بفضل القائد كيم إيل سونغ، مما حدا به إلى عقد العزيمة على مزاولة الزراعة بصورة رائعة. لم يسعه الآن إلا شراء العجل بسبب ضيق الأموال ولكنه يصمم على توفير ثور واحد مهما كلف الأمر في الخريف القادم وأضاف:

- ستراني فيما بعد أستخدم الثور حتما.

سأله الرئيس وهو يرنو إليه بحنان:

- أين تسكن، يا عجوز؟

- أنا ساكن في قرية خلف شعب أوت. حين كنت أعبر ذلك الشعب فجر اليوم، خطر ببالي أن هذا الشعب أيضا أصبح ملكا لنا الآن.

يا عزيزي، هل تعرف حيثية اسم ذلك الشعب؟

كان الرئيس يعرفها، لكنه بدأ يستمع إليه بفضول.

... اعتاد النبلاء والكونفوشيوسيون الذين كانوا يقيمون في قضاء دايدونغ وسائر البلدات في سالف الزمان على أن يخلعوا ثيابهم ليرتدوا الملابس الجديدة في قمة الشعب التي تطل على بيونغ يانغ المسورة عند قدومهم إلى هذه المدينة لأنهم لم يستطيعوا أن يدخلوا المدينة المسورة حيث حاكمها بمظهر لباسهم الملوث.

لذا كانت قمة الشعب مغطاة دائما بملابسهم المخلوعة حتى أطلق عليها اسم شعب أوت (ملابس - المترجم). ...

شرح العجوز عن حيثية الشعب على هذا النحو وتابع يقول بانفعال:

- عندما كنت أعبر شعب أوت صباح اليوم، انتابتني الرغبة في خلع وتعليق معطفي التقليدي الكوري أيضا لأنه أصبح لنا هذا الشعب الآن، فقد فعلت حسب مشيئتي.

لم يغتّ المستمعون إليه الضحك لكلامه حتى راحوا يضحكون بصوت خافت.

استطرد العجوز قائلا:

- ولكن تساءلت في نفسي في منتصف نزولي من الشعب ماذا يخيف ويجبر فلاحينا الآن على تعليق ولو المعطف البالي، علما بأن النبلاء بدلوا الثياب في القدم خوفا من حاكم بيونغ يانغ. فسرعان ما صعدت مجددا إلى الشعب ونزلت منه بالمعطف.

لقوله هذا، ضحك الرئيس مقهقها وما لبثت أن انفجرت الضحكات في المطعم.

- أحسنا لمجيئنا إلى مطعم الشعيرية. أين يمكننا سماع هذه القصة الطريفة؟

قال الرئيس للفلاح إنه يتقن قص الحكايات بصورة مشوقة حقا، داعيا إياه إلى تناول الشعيرية الآن.

بعد أن تناول الرئيس أيضا الشعيرية، قام من مقعده وودع الفلاح قائلا:

- دعنا نغادر أولا. أرجوك أن توفر كمية كافية من الغذاء وتشتري ثورا كبيرا عن طريق إجادة الزراعة في هذا العام.

أدرك زميل الرئيس في أيام الدراسة الثانوية بعمق عند الخروج من المطعم أنه لم يأت قط إلى هذا المطعم لمجرد تناول وجبة الغداء معه.

تبادل الحديث على طرف الحقل

في أحد أيام نيسان/ أبريل عام ١٩٤٦، رأى الرئيس كيم إيل سونغ من نافذة السيارة بعض الفلاحين يحرثون الحقل وينثرون بذار الدخن بجانب الطريق ودعا إلى إيقاف السيارة قبل أن يقول لأحدهم:

- سلمت يداك لحراثة الحقل.

لم ينتبه الفلاح الذي كان يحرث الحقل إلى أن من يزوره هو القائد كيم إيل سونغ.

جلس الرئيس على طرف الحقل وهو يقترح عليه أن نجلس لتبادل الحديث.

اجتمع الفلاحون الآخرون الذين كانوا يعملون معه.

سأل الرئيس الفلاح الحارث عن مساحة الأرض الزراعية التي وزعت عليه.

- استلمت ٥٠٠٠ بيونغ بمجموع المزرة والحقل.

- كم عدد أفراد عائلتك لدرجة استلام ٥٠٠٠ بيونغ ؟

- ٨ أشخاص.

- ما هي رغبتك بعد تطبيق الإصلاح الزراعي؟

- ليست لدي رغبة أخرى لأنني أصبحت أعيش حياة رغيدة الآن بعد استلام الأرض الزراعية دون مقابل بفضل القائد كيم إيل سونغ.

- ألا تنقصكم البذور وثيران الجر والأدوات الزراعية لزراعة هذا العام؟

- أصبحت لنا الأراضي الآن فلا داعي للقلق لأنه يكفينا الأمر بمجرد جمع البذار التي يملكها الفلاحون وتعاور ثيران الجر والأدوات الزراعية.

أيد الرئيس كلامه، قائلا إن فكرته رائعة وشجعه موضحا أن الدولة أيضا ستساعده فيما بعد، وسأله:

- كم قيمة بدل الإيجار الذي دفعته للإقطاعي قبل التحرر؟

- قبل التحرر، انتزع الإقطاعي معظم المحاصيل التي زرعناها طوال العام الواحد. وأكثر من ذلك، اضطررنا إلى أن نقدم الخنزير أو الدجاج للإقطاعي من أجل استئجار الأرض لزراعة العام القادم حتى ولو لم نأكله.

- الفلاحون هم أصحاب الأرض الآن، فكم مقدار الضريبة العينية المدفوعة المناسبة لكم؟

تبادل الفلاحون نظراتهم حائرين دون أن يدركوا معنى سؤاله، فسألهم مرة أخرى.

- ما رأيكم في تحديدها بنسبة ٣٠ بالمائة؟

- سيعيش الفلاحون في بحبوحة إذا دفعوا الضريبة العينية للدولة بهذه النسبة.

- ما رأيكم في دفعها للدولة بنسبة ٢٥ بالمائة؟

انعقدت ألسنة الفلاحين مجددا.

أجاب أحد الفلاحين على سؤاله بحذر:

- قبل التحرر، انتزع الإقطاعي أكثر من ٧٠ بالمائة من محصولاتنا، فإن نسبة ٢٥ بالمائة رخيصة أكثر من اللازم.

أخرج الرئيس مفكرة صغيرة من جيبه، وكتب عليها شيئا ما ونهض من مكانه وقدم النصيحة للفلاحين.

- يتعين على الفلاحين تحسين الزراعة عن طريق استصلاح الأراضي الزراعية لأنهم أصبحوا الآن أصحابا لها، حتى يرفعوا مستوى حياتهم ويقدموا أيضا الحبوب الرائعة للدولة.

لم يعرب الفلاحون له عن شكرهم كما يجب، مفعمين بالفرح والحبور فقط.

في يوم ٢٧ من حزيران/ يونيو، بعد شهرين من ذلك، تم اتخاذ القرار بتطبيق نظام الضريبة العينية الزراعية الذي لا يقدم بموجبه الفلاحون للدولة إلا ٢٥ بالمائة من محاصيلهم وهذا ما كان إجراءا تاريخيا يضمن نجاحات الإصلاح الزراعي بثبات من خلال تحسين معيشة الفلاحين الذين تلقوا الأراضي بصورة أكبر.

من ذلك الرجل؟

ذات يوم من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٤٦، شاهد الرئيس كيم إيل سونغ فلاحا يحصد الفاصوليا الحمراء مع أفراد عائلته وهو على طريق توجيهاته الميدانية.

طلب الرئيس من السائق إيقاف السيارة ودنا من ذلك الفلاح وسأله:

- السلام عليكم، هل أنت تحصد؟

- أجل.

- زرتك للإطلاع على حالة الزراعة. أرجوك المعذرة، هل يمكنني الحديث معك رغم أنك مشغول؟

- كلامك مبالغ، لا حاجة للمعذرة. تفضل.

توجه الرئيس إلى تحت شجرة الكستناء وجلس على أوراقها ليتبادل الحديث مع الفلاح.

- كيف حالة زراعة هذا العام؟ كم مساحة الأرض الموزعة لك؟

- خصصت لي ١٥٠٠ بيونغ من المرزة و٦٥٠٠ بيونغ من الحقول بفضل القائد كيم إيل سونغ. حالة زراعة هذا العام أيضا جيدة.

- هل أنت صاحب ذلك الثور الموجود على ضفة الجدول؟

- نعم.

- إذن، ليست ثمة مشكلة في إدارة الحياة المنزلية على ما أظن.

أضاف الرئيس أنه حان لنا الآن أن ندير حياتنا بأيدينا ولن يعيش أبناء الشعب حياة أكثر رغدا وتزداد البلاد ثراء وقوة إلا عندما يعمل الفلاحون جيدا.

وسأله وهو يتفحص التربة:

- أرى الحقول طينية. هل تكون تربة هنا جميعا هكذا؟ ماذا تزرع أساسا في الحقول؟

- الذرة.

- يبدو لي أن الذرة لا تنمو جيدا هنا. ما هو السبب؟

- أصلا، إن تربة هنا طينية إلى أبعد الحدود، ومما زاد الأمر سوءا أن تغدو موحلة بمجرد هطول المطر قليلا، وبالمقابل، تصبح صلدة حتى وإن لم ينزل ولو قليلا.

بعد أن استمع الرئيس إلى جواب ممزوج بالشكوى للفلاح الذي لم يتمكن من التعرف عليه، نبهه إلى خطأه باسما:

- أ هذا صحيح؟! إذن، جرب شق ترعة المياه. لو قمت بشق الترع العميقة في مختلف أرجاء الحقول لما تعرضت للأضرار الناجمة عن الطقس البارد. وإذا قمت بالعزق والتعشيب من حين لآخر عند الجفاف، قد تكون الأرض رخوة.

مثلما يقول المثل إنه لا توجد أرض مجدبة بالنسبة للفلاح المجتهد، فمن الطبيعي أن زراعة الغلال مرهونة برعاية الإنسان.

لكلامه هذا، احمر وجه الفلاح تلقائيا.

قال الرئيس له إن فلاحينا صاروا الآن أصحابا للأرض. لذا عليك أن تزرع الحقول الطينية هنا جيدا عن طريق استصلاحها. من الأنسب أن تكون لديك عربة الثور. تتمكن بها من نثر الدبال بكمية أكبر من الآخرين إذا أنتجت الدبال بحش الكثير من العشب وجمعت قدرا كبيرا من رماد الفحم في حاضرة القضاء واستطرد قائلا:

- إذا قمت بنثر كمية كبيرة من الدبال، تزداد الأرض رخاوة وتنمو

المزروعات جيدا. كما من المطلوب إزالة الأعشاب الضارة. عندئذ فقط، تنمو المزروعات جيدا. أرى من المستحسن تصريف المياه من الحقول لوجود الجدول هنالك.

- في العام القادم، سأقوم بالزراعة حتما كما أشرت إليه.

- هل تذهب إلى قاعة البناء الوطني في المساء؟

- بالطبع، أذهب إليها كل مساء لأستمع إلى مضمون التوعية الانتخابية.

وافق الرئيس على كلامه قائلا إن فلاحينا يجب أن يعرفوا السياسة لأنهم صاروا أصحابا للبلاد، وعندئذ فقط، يمكنهم مزاولة الزراعة وتربية الأبناء على أفضل وجه مدركين بوضع بلادنا وماهية العمل الذي تقوم به.

أمسك الرئيس بيديه الجاسئتين دون تكلف ووقف من مكانه، بعد أن قال:

- مع السلام. أتمنى لك التوفيق!

لم يتحرك الفلاح لوقت طويل وهو يتطلع إلى السيارة التي تغادر المكان.

(من الواضح أنه جاء من السلطة المركزية، ولكنه واسع الاطلاع على الشؤون الزراعية. رأيت لأول مرة في حياتي أن من يستقل السيارة يبحث مع الفلاح العادي الشؤون الزراعية دون تكلف. يا ترى من ذلك الرجل ؟ ...)

تأثر ممثلي الفلاحين

شـهدت كوريـا محصـولا وافـرا لا نظيـر لـه فـي العـام الأول بعـد تحـرر البـلاد.

انطلـق جميـع الفلاحيـن فـي أنحـاء البـلاد إلـى حركـة دفـع الضريبـة العينيـة قبـل الموعـد المحـدد، يملأهـم السـرور الغامـر بتحقيـق حصـاد وافـر فـي زراعة العـام الأول بفضـل الإصـلاح الزراعي.

فـي تشـرين الثانـي/ نوفمبـر عـام ١٩٤٦، التقـى الرئيـس كيـم ايـل سـونغ بممثلـي الفلاحيـن الذيـن جـاءوا مـن ناحيـة سـينبو (آنـذاك) فـي قضـاء سونتشـون بمحافظـة بيونغـآن الشـمالية إلـى بيونـغ يانـغ ومعهـم رسـالة الشـكر والهدايـا المقدمـة إليـه، بعـد أن فـازوا بالمرتبـة الأولـى فـي حركـة دفـع الضريبـة العينيـة قبـل الموعـد المحـدد علـى نطـاق المحافظـة، وهـو يقـول:

- تجشمتم عناء كبيرا لقطع مسافة بعيدة.

كان الممثلـون حائريـن فيمـا يجـب أن يقولـوا أولا للقائـد الفـذ كيـم إيـل سـونغ الـذي كانـوا يحترمونـه أيمـا احتـرام مـن شـدة التأثـر والانفعـال للقائهـم بـه.

بعـد برهـات، هنـدم أحـد الممثليـن زيـه بخشـوع وقـدم للرئيـس رسـالة الشـكر قائـلا:

- جئنـا لتوجيـه الشـكر إليكـم نيابـة عـن الفلاحيـن فـي ناحيـة سـينبو مـن قضـاء سونتشـون بمحافظـة بيونغـآن الشـمالية.

أخبـره بفخـر بأنهـم فـازوا بالمرتبـة الأولـى فـي حركـة دفـع الضريبـة

الزراعية العينية قبل الموعد المقرر تحدوهم رغبة واحدة في الرد على المعروف الكبير للقائد كيم إيل سونغ الذي استعاد البلاد التي اغتصبتها الإمبريالية اليابانية وحول الفلاحين إلى أصحاب للأرض.

سأل الرئيس وهو يجول ببصره على الحضور:

- كيف حالة زراعة هذا العام؟

أجابه أحد الممثلين:

- جنينا محصولا وفيرا غير مسبوق بنجاح الزراعة على الأراضي التي أعطيتموها لنا.

بعد سماعه، أشاد به في سرور بالغ قائلا:

- أحسنتم جدا في العمل. نبني الآن الوطن الديمقراطي الجديد مع تصفية تداعيات الحكم الاستعماري الشرس للإمبريالية اليابانية والبقايا الإقطاعية.

من المهم الآن إجادة العمل لبناء الدولة.

تابع يقول إن الفلاحين ملزمون في بناء الدولة بتعزيز السلطة الشعبية بصورة أكبر وتحقيق المواسم الزراعية الجيدة، مشيرا إلى ضرورة إنتاج كمية كبيرة من الحبوب الغذائية وزرع القطن على نطاق واسع وإنتاج قدر كبير من الشرانق وإجادة تربية المواشي، والقيام بهذه الأعمال جيدا بعد عودتهم.

ثم أبدى عزمه على الإسهام في عمل بناء الدولة ببذل كل ما لديه من القوة والطاقة دون ادخار وهو يقول:

- ليس ثمة أمر مستحيل إذا اتحدتم بتضافر قوتكم وطاقتكم ومواهبكم كافة. فلنبن دولة ديمقراطية غنية وقوية يطيب العيش فيها.

لم يسع الممثلين إلا أن يتعجبوا منه لأنه ليس في العالم مثل هذا الرجل

البسيط والمتواضع الذي يعدهم بالقيام بالمزيد من الأعمال في سبيل البلاد على الرغم من أن توجيه الشكر إليه وقد منحهم الأراضي هو واجب أخلاقي طبيعي للفلاحين في هذا البلد.

زيارة بيت الفلاح

في أحد أيام نيسان/ أبريل عام ١٩٤٧، زار الرئيس كيم إيل سونغ بيت الفلاح كيم جي واون حيث اطلع بالتفصيل على اسم القرية وعدد بيوت الفلاحين وسائر الشؤون الاقتصادية ثم سأله:

- كيف أنتجت ١٤٠ زكيبة من الأرز في ٣٦٠٠ بيونغ من الحقول؟

- زادت الغلة هكذا نتيجة إنتاج كمية كبيرة من السماد العضوي لنثره في الحقول وطمر القصب المقطوع لمنع الملوحة.

أثنى الرئيس عليه قائلا:

- يقول المثل الكوري «لا توجد أرض مجدبة بالنسبة لفلاح مجد». أرى أن هذا القول ينطبق عليك يا شيخ.

دعاه الرئيس إلى تعريف خبرته القيمة في زيادة غلة الحبوب على الفلاحين في القرى الأخرى، ناهيك عن فلاحي هذه القرية، مؤكدا على واجب الفلاحين لتخصيب حقول الأرز فيما بعد عن طريق نثر كمية كبيرة من الدبال فيها بإنتاجه من خلال حش الأعشاب الخضراء وتربية المواشي.

نظر الرئيس إليه بحنان وهو يسأله عما إذا كانت الأسر الفلاحية تربي عددا كبيرا من المواشي.

- تقوم بتربية البقر والخنزير والدجاج في البيوت.

- يتعين على الأسر الفلاحية تربية المواشي. ... عليك، يا شيخ أن تكون نموذجا لإطلاق حركة تربية المواشي مثل البقر والخنزير والدجاج والكلب في جميع الأسر الفلاحية في هذه القرية.

ثم فتح الرئيس شباك الغرفة وتأمل المنظر العام للقرية، قائلا إنه ينبغي تحويل القرية إلى مكان صالح للعيش. وجد اليوم في هذه القرية أنها حافلة بالبيوت المسقوفة بالقش ويبدو طريقها منفرا للعين بسبب تعرجه فلا بد من إنشاء الكثير من البيوت المسقوفة بالقرميد وشق الطريق جيدا حتى تكون القرية جذابة.

أجابه الفلاح:

- أشرتم، أيها القائد، إلى كل الأشياء واحدا تلو الآخر وحللتم المسائل العالقة، فسأرد حتما على فضائلكم بإجادة الزراعة فيما بعد.

أبدى الرئيس رغبته في المغادرة الآن وعلى محياه ابتسامة خفيفة، ونهض من مكانه.

أمسك الفلاح كيم جي واون بيد الرئيس مناديا : «أيها القائد!» واستطرد:

- أيها القائد، إذا غادرتم هكذا دون تلقي أي ضيافة بعد مجيئكم إلينا لأول مرة، سأشعر أنا كيم جي واون بالحزن الذي يعتصر قلبي. ألا يمكنكم تناول الطعام المضمخ بإخلاصنا قبل المغادرة حتى وإن كان بسيطا.

قال الرئيس إنه شاكر له على وفائه وإخلاصه ولكنه يجد نفسه مضطرا إلى العودة لكثرة مشاغله، وطلب منه أن لا يأسف أشد الأسف وتابع:

- أتمنى لك وجميع أفراد أسرتك موفور الصحة والحصاد الوفير في زراعة هذا العام.

- أيها القائد!

ذرف الفلاح كيم جي واون وأفراد عائلته دموع الامتنان دون توقف.

غرس شتلات الأرز مع الفلاحين

ذات يوم من حزيران/ يونيو عام ١٩٤٧، توجه الرئيس كيم إيل سونغ إلى سهل ميريم لغرس شتلات الأرز مع الفلاحين.

بعد أن وصل الرئيس إلى عين المكان في باكورة الصبح الصافي، تبادل التحية بسرور مع الفلاحين وهو يصافح أيديهم واحدا بعد الآخر.

دعاهم بلهجة حنونة إلى أن يبدأوا جميعا العمل بمرح منذ الصباح المبكر وهو يجول بناظريه عليهم ومشى إلى الحقل لغرس شتلات الأرز.

أحس الفلاحون بأعينهم تتخضل رغما عنهم قائلين:

- هل جاءنا القائد لغرس شتلات الأرز؟

قال الرئيس كيم إيل سونغ:

- فلنغرس جميعا شتلات الأرز بفرح على الحقول الموزعة. هذه المرة الأولى التي أغرس فيها شتلات الأرز بعد العودة إلى الوطن.

خلع سترته وحذاءه وعلى شفتيه ابتسامة صبوحة، ثم دخل إلى حقل الأرز في مقدمة الآخرين.

أمسك بربطات شتلات الأرز ووضعها جنبا إلى جنب وهو لم يتوقف عن العمل حتى دخول الآخرين جميعا الحقول.

فك ربطة واحدة منها وغرس أول شتلة بالتوافق مع خط الشتلات، ثم بدأ يغرس الشتلات واحدة تلوى الأخرى بحرص بالغ.

حين اقترح الفلاحون عليه أن يستريح بعض الوقت، قال لهم إننا جئنا لغرس شتلات الأرز فيتعين علينا إنجاز الواجب اليومي، وأسرع في العمل باستمرار داعيا إياهم إلى الاستراحة بعد غرس المزيد من الشتلات.

ونصح مرافقيه قائلا:

- ينبغي التعامل مع شتلات الأرز بحذر.

... من المطلوب غرسها واحدة واحدة بكل عناية لأنها مشربة بعرق الفلاحين.

لقوله هذا، أخذ الناس المكلفون بنقل وإلقاء ربطات شتلات الأرز على الحقول يتعاملون معها بحرص كبير، ناهيك عمن يغرسونها.

قال الرئيس وهو يتأمل الحقول التي يعمها جو من الفرح والبهجة:

- يتوجب على الفلاحين تحسين مزاولة الزراعة. في الماضي، عاش فلاحونا في فقر معانين من الجوع بعد أن اغتصب الإقطاعيون كافة الحبوب مهما زرعوها بجهد جهيد لأنه لم يكن لديهم الأراضي، غير أنهم يمكن أن يعيشوا في رخاء دون أي هم أو قلق بمجرد مزاولة الزراعة على خير وجه لأنهم صاروا الآن أصحابا للأراضي. لا يمكن أن تتحسن الحياة وتسير أعمال بناء الدولة جيدا إلا عندما تتوفر الأغذية عن طريق تحقيق المواسم الطيبة في الزراعة.

واصل الرئيس غرس الشتلات مع الفلاحين مؤكدا ضرورة تحويل سهل ميريم إلى أرض خصبة باستصلاحه وترتيبه كحقول قياسية.

لم يتوقف عن العمل إلا بعد إنهاء غرس شتلات الأرز في الحقول حسب خطة ذلك اليوم.

صورة التقطت مع حزمة القمح

في أحد أيام تموز/ يوليو عام ١٩٤٧، شاهد الرئيس كيم إيل سونغ على طريق التوجيهات الميدانية زوجين من الفلاحين يعملان على حصاد القمح في الحقل القريب من الطريق ودعا إلى إيقاف السيارة.

تناول الرئيس سنبلة من سنابل القمح منهما وسألهما بلطف:

- زراعة القمح رائعة. كم كمية الحصاد المتوقعة؟

- أرى من الممكن حصاده بمقدار نحو زكيبة واحدة في كل من ٥٠ بيونغ.

بعد سماع جوابه، ردد الرئيس في نفسه عن حسن زراعة القمح وسأله:

- كم من الأراضي تلقيت أثناء الإصلاح الزراعي؟

- تلقيت ٤٥٠٠ بيونغ من الحقول و١٥٠٠ بيونغ من المرزات بفضل القائد كيم إيل سونغ.

سأله الرئيس مشيرا إلى قطعة صغيرة من المرزات والحقول.

- أهذه الأرض أيضا وزعت عليكما؟

- لا. كانت في الأصل معشوشبة، لكننا حولناها إلى مرزة وحقل.

أشاد الرئيس به والتفت إلى مرافقيه قائلا:

- الآن أصبح الفلاحون أصحابا للأرض.

ثم، سأله عما إذا كانت هنا مساحة كبيرة من الأراضي البور.

أجابه الفلاح أنها موجودة بعض الشيء لكنه قام بحراثتها جميعا.

قال الرئيس:

- لا يجوز ترك شبر واحد من الأرض سباتا. يجب أن يكون للفلاحين أرض ولن تزدهر البلاد إلا عند إجادة الزراعة.

خاطبه الفلاح:

- يفرح جميع الفلاحين بحلول العالم الجيد.

ابتسم الرئيس ابتسامة عريضة وسأل زوجة الفلاح الواقفة خلفه عن مشاعرها حين تقوم المرأة بالزراعة بنفس الحقوق المتساوية مع الرجل بعد تحرر البلاد.

- أيها القائد، لا أشعر بالصعوبة لأنني أنام مطمئنة البال وأعمل بملء رغبتي.

ردد الرئيس في سره بصوت خافت «لا تشعر بالصعوبة» وتابع يقول:

- تستأثر مكانة المرأة ودورها ببالغ الأهمية في بناء المجتمع الجديد. يتعين على المرأة أن تضطلع بدفع عجلة الثورة إلى الأمام.

- سأعمل بكل جهودي واضعة قولكم نصب عيني.

- قفي حاملة حزمة القمح تلك على صدرك. سأصورك.

طلب الرئيس من الزوجين من الفلاحين اللذين يخرجان عن طورهما من السعادة قائلا:

- تحسين مزاولة الزراعة واجب أساسي للفلاحين الذين صاروا أصحابا للبلاد والأرض في الوطن المحرر. عليكما إجادة الزراعة دون نسيان معروف البلاد التي وزعت الأرض لكما.

بعد عدة أيام، نشرت صورة تلك الفلاحة التي صورها الرئيس داعيا إياها إلى أن تحمل حزمة القمح على صدرها، بحجم كبير على صحيفة المحافظة عشية الذكرى الأولى لصدور قانون المساواة بين الجنسين.

وعد معقود مع الفلاحة

ذات يوم من آب/ أغسطس عام ١٩٤٧، تلقى الرئيس كيم إيل سونغ تقريرا من السكرتير عن قدوم فلاحة لمقابلته من قرية أوكدونغ (آنذاك) في قضاء بيونغكانغ بمحافظة كانغواون.

بعد برهات، حين دخلت امرأة ريفية إلى الغرفة بصحبة الكادر، أمسك الرئيس بيديها المتصلبتين والجاسئتين دون تكليف وعلى محياه ابتسامة لطيفة وقال:

- لا بد أنك تحملت عناء كبيرا لقطع مسافة طويلة.

ارتبكت الفلاحة من شدة الامتنان له للقائه بها مع كونها عادية.

سألها الرئيس بتواضع:

- ما هو سبب زيارتك هكذا؟

- زرتكم بالقمح والبطاطا اللذين زرعتهما على الأرض التي أعطيتموها لي. اقبلوهما كعربون وفاء وإخلاص لي على الرغم من أنها قليلة. كنت خادمة للبيت الآخر حتى قبل السنتين، ولكني أصبحت اليوم أعيش عن جدارة في بيتي وأنا أزرع أرضي بفضلكم.

أجلسها الرئيس على المقعد ممسكا بيديها وسألها:

- هل نجحت في زراعة هذا العام؟

- حققت المواسم الجيدة تماما في زراعة هذا العام أيضا نتيجة لاستصلاح الأراضي التي منحتموها لي والعمل بقدر المستطاع.

ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يستمع إلى قولها إن

الجميع أصبحوا يعيشون حياة رغيدة دون أي هم أو قلق بعد أن تلقوا الأراضي وصاروا أصحابا لها.

وسألها الرئيس بغتة عن المدرسة.

- أي مدرسة تعمل هناك؟ هل توجد المدرسة الثانوية؟

- لا توجد إلا المدرسة الابتدائية.

بعد سماعها، قال الرئيس لها بجدية:

- من أمر جيد أن تأتيني بالحبوب الغذائية ولكن لو ساعدت عملية إنشاء المدرسة وقاعة الاجتماع لكان أفضل.

ينبغي لجميع الفلاحين مزاولة الزراعة على خير وجه وإجادة تعليم أبناء الجيل الناشئ عن طريق بناء المدرسة الرائعة بتضافر القوى على حد سواء.

من الضروري بناء المدرسة الثانوية في القرية أيضا ليتخرج الأولاد حتى من هذه المدرسة في قريتهم.

يقول طلبتنا إنهم يجدون الصعوبة في إتمام الدراسة الثانوية لبعد المدرسة، فلا بد من بناء المدرسة الثانوية في كل من القرى.

بعد برهات، سألها الرئيس بحنان:

- من أي مدرسة تخرجت، يا رفيقة؟

- لم أستطع الذهاب إلى المدرسة مطلقا.

- إذن، ماذا تدرسين الآن؟... هل تقرئين الجريدة؟

تخضب وجهها بحمرة الخجل وأطرقت رأسها وهي تتلمس حاشية التنورة فقط.

- أيها القائد، لا أعرف الحروف الأبجدية حتى الآن.

نصحها الرئيس بضرورة تعلم الأبجدية سريعا وهو يقول:

- علـى جميـع الكوريـين أن يعرفـوا قـراءة لغتنـا المكتوبـة ولهـذا الغـرض، ينبغـي الدراسـة.

لـم تـدرس نسـاؤنا الكوريـات لأن الإمبرياليين اليابانيين لـم يعلموهـن وليس لأنهـن لـم يعرفـن جيـدا كيفيـة الدراسـة.

يـا رفيقـة، عليـك أن تدرسـي لأن الوقـت لـم تفتـك بعـد. هـل هـذا ممكـن؟

- أجل. أستطيع.

- إذن، لنتفـق، يتعيـن عليـك بـدء الدراسـة بعد العـودة وكتابـة رسـالة إلـي بخـط يـدك بعـد مضـي ثلاثـة أشـهر مـن الآن. مـا رأيـك؟ هـل أنـت مسـتعدة؟

- سأفعل حتما بناء على طلبكم.

- حاولـي محـو أميتـك وبعدهـا دعـوة جميـع المواطنيـن إلـى إطـلاق حركـة محـو الأميـة. هـل فهمتنـي؟

- نعـم، سـأتوجه بالدعـوة لتكثيـف حركـة محـو الأميـة عمـلا بالوعـد المعقـود معكـم.

بعـد ثلاثـة أشـهر مـن ذلـك، تلقـى الرئيـس رسـالة مـن الفلاحـة ري كـي سـان وقرأهـا وعلـى محيـاه ابتسـامة عريضـة.

جـاء فـي الرسـالة أنهـا تتقدم بالشكر إلـى الرئيس كيـم إيـل سـونغ تعبيـرا عـن مشـاعر الاحتـرام الفائـق لـه وقـد جعلهـا صاحبـة للبـلاد والأرض ووفـر الحيـاة السـعيدة لهـا بعـد أن عاشـت تحـت وطـأة الجهـل والفقـر متعرضـة لكافـة أنـواع الاسـتغلال والاضطهـاد، ورباهـا هكـذا إلـى أن تكتـب اليـوم الرسـالة بخـط يدهـا لأول مـرة بعـد ولادتهـا.

بعـد عـدة أيـام، وجـه الرئيـس إليهـا رسـالة للـرد تفيـد بأنـه مسـرور لمحوهـا الأميـة خـلال ثلاثـة أشـهر وإخبـاره بذلـك بكتابـة الرسـالة كمـا

وعدتــه، ويتمنــى لهــا النجــاح الجديــد بإجــادة العمــل علــى أفضــل وجــه والدراســة بجــد أكبــر فيمــا بعــد.

منذ ذلك الحين، تأجج لهيب محو الأمية بعنفوان في كل أنحاء البلاد.

خفض ثمن الماء

فــي أحــد أيــام آب/ أغسـطس عـام ١٩٤٧، اسـتدعى الرئيـس كيـم إيـل سـونغ الكـوادر فـي ناحيـة سـينانزو بقضـاء آنـزو (آنـذاك) إليـه.

سأل الرئيس كيم إيل سونغ رئيس اللجنة الحزبية في الناحية:

- نزل المطر بغزارة هذه المرة. ألم تتعرض المزروعات للأضرار؟

- أغرقـت الميـاه بعـض الحقـول والمـرزات المحاذيـة لنهـر تشونغتشـون، ولكـن الآن لا بـأس لانحسـار الميـاه.

قال الرئيس مشيرا إلى قطعة من المرزات ذات آثار للغرق في المياه:

- طبعـا إن نظـام الـري مهـم، ولكـن إقامـة نظـام التصريـف الجيـد لا تقـل أهميـة عـن ذلـك.

انظر، كم من أهمية إدارة المياه.

عندمـا شـعر كـوادر الناحيـة بالذنـب ظنـا منهـم أنـه كان بإمكانهـم منـع أضـرار الفيضـان مسـبقا إذا أولـوا الاهتمـام بنظـام الصـرف، سـأل الرئيـس كيـم إيـل سـونغ رئيـس اللجنـة الحزبيـة للناحيـة:

- كيف حالة زراعة هذا العام؟

- نتائج الزراعة رائعة.

- هل تكون المزروعات جيدة في الحقول أيضا؟

- نعم. أجيدت زراعتها أيضا.

- ينبغي نثر الدبال بجد والعمل باجتهاد منذ أوائل الربيع من أجل إجادة الزراعة، وعندئذ فقط، يمكن جني حصاد وافر.

ومن ثم، اطلع على حالة معيشة الفلاحين وسأله بنبرة تنم عن التفكير العميق:

- ما هي انطباعات الفلاحين الآن؟

- ينهمك الفلاحون في الزراعة مفعمين بالسرور لاستلام الأراضي ويتبرعون للبلاد بالحبوب التي اختاروها حبة بعد حبة بدافع من قلوبهم الوطنية من أجل الرد على فضائل القائد.

سأل الرئيس كيم إيل سونغ رئيس اللجنة الحزبية للناحية هذه المرة عما إذا لم يكن ثمن الماء غاليا.

آنذاك، كان الفلاحون الذين استلموا الأراضي الزراعية يزرعون الأرز بملء إرادتهم دون أن يعرفوا الجفاف مستعينين بالمياه التي يتم ضخها من نهر تشونغتشون، فقد كانت الحبوب الغذائية كافية لهم حتى بعد التعويض عن رسوم المياه.

- ثمن الماء ليس غاليا.

أوصى الرئيس مرافقيه بخفض ثمن الماء قائلا إنه غال بعض الشيء:

- لا بد من تحسين حياة الفلاحين الذين صاروا أصحابا للأرض بأسرع ما يمكن.

اتخذ الرئيس الإجراءات المشربة بالحب لخفض ثمن الماء غير الغالي لأنه ربما شعر بنقص الحب المبذول للفلاحين حتى بعد أن حولهم إلى أصحاب للأرض.

ثوران وحل وسط

ذات يوم من آب/ أغسطس عام ١٩٤٧، قابل الرئيس كيم إيل سونغ فلاحا قادما من قضاء آنبيون بمحافظة كانغواون.

- لا بد أنك تعبان من السفر الطويل.

أمسك الرئيس بيد الفلاح الذي يحييه بخشوع ودعاه إلى الجلوس.

تأمل الرئيس وجهه المسفوع بأشعة الشمس، ثم خاطبه بلطف:

- سمعت أنك تود أن تتبرع للدولة بثورين كنت تربيهما في البيت، بعد نقلهما بالقطار إلى بيونغ يانغ، لأنك أصبحت تعيش في بحبوحة بفضل الإصلاح الزراعي، فأشكرك شكرا جزيلا على إخلاصك.

تحير الفلاح لثنائه العالي جدا.

سأله الرئيس وهو يرنو إليه بحنان:

- ولكن هل يوجد الآن ثور آخر في بيتك؟

- ليس الآن لأنني أتيت بالثورين اللذين كنت أربيهما في البيت.

- إذن، كيف تزرع الأرض بدون الثور فيما بعد؟

- يمكنني إجادة الزراعة بالقدر المراد لوجود الثور في بيت كل من أبي وعمي الساكنين في قريتي.

قال الرئيس إنه يتمكن بالطبع من مزاولة الزراعة باستعارة الثور من أبيه أو عمه، ولكن يبدو أنه ليس فكرة رائعة أن يخطط للقيام بالزراعة بمساعدة أهله وأقربائه بعد التبرع بكل ما لديه من الثورين للدولة، وأضاف:

- ولكن كيف تسير الزراعة، إذا تهافت جميع الفلاحين على التبرع بثيرانهم للدولة فقط مثلك؟ أنا شاكر لك على صنيعك ولكن أرى من المستحسن إعادة التفكير جيدا في ذلك.

قال الفلاح بجدية متطلعا إليه وقد نصحه بلطف:

- لا أستطيع العودة بالثورين إلى بيتي لأن التبرع بهما رغبة إجماعية لجميع أفراد أسرتي وأقربائي وليس مجرد فكرتي.

سأله الرئيس عما إذا كان ممكنا أن يقطع عهدا معه إذا كانت تلك هي رغبته.

- أستطيع تأدية أي عمل إذا أردتموه.

- سأقبل الثورين اللذين أتيت بهما إذا وعدتني بتوفير عجلين في ظرف هذا العام.

- اتفقنا على إحضار عجل كبير لأبي إلى بيتي قبل المغادرة إلى بيونغ يانغ للقائي بكم. كما من المتوقع أن تلد البقرة لعمي عجلا في الخريف القادم، فليست مشكلة في تربية عجلين عند إحضاره.

عندئذ فقط، قال الرئيس وهو يبتسم ابتسامة عريضة:

- إذن، سأقبل الثورين المشربين بالإخلاص الوطني لأفراد أسرتك وأقربائك، شكرا.

انتفض الفلاح واقفا من مقعده وهتف:

- لا أستطيع السيطرة على الامتنان لكم فعلا لقبول إخلاصنا البسيط كإخلاص وطني. أشكركم شكرا جزيلا.

هكذا، أصبح الثوران من أصل قضاء آنبيون اللذان كانا على وشك العودة إليه يستقران في بيونغ يانغ، بفضل حل وسط طرحه الرئيس.

يوم واحد في القرية الجبلية

ذات يوم من أيلول/ سبتمبر عام ١٩٤٧، حين وصل الرئيس كيم إيل سونغ إلى إحدى القرى في قضاء يانغدوك إثر تفقده لمحطة كهربائية قائمة في القضاء نفسه، كانت الشمس آفلة للمغرب بعد نهار قصير في الخريف.

كانت في تلك القرية ٩ أودية سحيقة ووعرة ومن بينها قرية تسمى بوادي كوزي لوقوعها في أقصاها، إلا أن الرئيس توجه إلى هذا الوادي الوعر.

مشى لوقت طويل صعودا على الشعب الضيق في أعماق الجبل النائي والذي كان يمتد بلا حدود في الغابة الكثيفة حيث لا يتراءى أبعد من أنف لالتفاف النبت المتسلقات والمعترشات وهو يعبر المنعطفات واحدا بعد الآخر إلى أن وجد بيتا حقيرا.

بعد برهات، دخل فناء البيت وحيا عجوزا بدا أنه يناهز ٧٠ عاما من العمر:

- جئت إلى هذه القرية لأن لدي عملا ما. كم تتحمل عناء كبيرا في مثل هذه المنطقة الجبلية، يا جدي.

- لا داعي للحديث عن العناء. تعانون الكثير لمجيئكم حتى إلى هذا المكان النائي، أنتم السادة الذين يدبرون شؤون البلاد.

- يا جدي، هل أقمت في هذه المنطقة منذ زمن بعيد؟

- لقد مر زمن طويل منذ استقراري في هذا المكان ظنا مني أنني

لن أرى وجوه الأوغاد اليابانيين إذا دخلت إلى أعماق هذه المنطقة الجبلية وتتحسن حياتي إلى حد ما إذا زرعت هنا أرضا محروقة، بسبب اشتداد استغلالهم شيئا فشيئا ووصول محن الحياة إلى ذروتها.

أمسك الرئيس بحنان بيديه المشقوقتين والغليظتي الأوصال وهو يقول:

- يا جدي، هل تأذن لنا بالمبيت في منزلك هذه الليلة؟

- أجل. ولكن أرجو المعذرة لبؤس البيت جدا ... على كل حال، هلم بنا ندخل إلى الغرفة.

في ذلك اليوم، تبادل الرئيس أطراف الحديث مع العجوز وهو يجالسه دون تكلف.

- كم مساحة من الأرض تلقيت، يا جدي؟

- تلقيت ٦٠٠٠ بيونغ من حقول الوقيد و٦٠٠ بيونغ من الحقول المسطحة.

- ما مشاعرك عند مزاولة الزراعة على الأرض الموزعة؟

- طرد جميع الأوغاد اليابانيين أولا من هذه الأرض مع تحرر البلاد وعلى الأخص، أقوم بالزراعة حسب مشيئتي على الأرض الخاصة بي بعد استلامها بفضل القائد كيم إيل سونغ، فقد أصبحت أعيش باطمئنان البال.

سأل الرئيس مجددا العجوز الذي يقول مفعما بالبهجة:

- أي نوع من الحبوب الرئيسية ينمو جيدا في هذه المنطقة؟

- تزرع هذه المنطقة الدخن والبطاطا أساسا ولكن المنطقة الجبلية أصلا لا تصلح للزراعة بسبب قحل أرضها.

قال الرئيس له:

- الأرض القاحلة في هذه المنطقة الجبلية أيضا تتحول إلى أرض

خصبة إذا تم نثر كمية كبيرة من الدبال فيها. لا فرق لدى الفلاح المجتهد بين أرض خصبة وأرض مجدبة.

عندما قال الرئيس إنه سيحرص على توفير المزيد من الأسمدة فيما بعد، خرج العجوز عن طوره من شدة الفرح.

- أي نوع متوفر هنا من بين البقول والثمار البرية؟

- الثمار البرية متوفرة في جبال هنا مثل العنب البري والكيوي والإجاص البري، أما بصدد البقول البرية فيتوفر الأراليا واليانسون والخنشار والجريس والكردهان والثغام وما شابهها.

قال الرئيس له إنه يجب تفعيل الاستفادة من الجبال في المناطق الجبلية ومن البحار في المناطق البحرية وهو ينبه كالآتي:

- تتوفر هنا الثمار البرية مثل العنب البري والكيوي والإجاص البري بصورة أكثر بكثير مما في هيسان أو محافظة كانغواون. كما أن الجبال في هذه المنطقة زاخرة بمختلف أنواع البقول البرية، فضلا عن وفرة النباتات الطبية جدا. فإذا تم قطف واستخدام الثمار البرية والنباتات الطبية والبقول الجبلية حسب الفصول ضمن خطة، يمكن كسب قدر كبير من الدخول دون تخصيص الرصيد بكثرة، أليس كذلك؟

- أوه، يبدو لي عند سماعي كلامك أن ذلك الجبل برمته كومة من الأموال. أرجوك، يا سيدي أن تروي تلك القصة الجيدة لأهالي قريتي. عندما يستمعون إلى هذه القصة النادرة، سيشعرون جميعا بانفتاح أذهانهم. ترى من أي موطن أنت واسع الاطلاع على كل ما يدور في العالم؟

أجابه الرئيس باسما:

- أنا أيضا ترعرعت في الريف بمحافظة بيونغآن.

- هيه، رأيتك لأول وهلة تكون على إلمام تام بشؤون الزراعة. من

الطبيعي أن يعمل المولود بالريف مثلك في بلدية القضاء. بغير ذلك، لا يمكن توجيه الزراعة وهي عماد البلاد الرئيسي بصورة سليمة.

أخيرا حل وقت العشاء فقد جلس الرئيس إلى مائدة الطعام مع العجوز دون تكلف.

عرف العجوز أن الأطعمة المقدمة إلى المائدة لم يعدها بيته وارتبك من شدة الأسف قائلا:

- آه، معذرة يا سيدي. من المعقول أن يكرم صاحب البيت ضيفه ولكن الأمر صار عكسا بالعكس. أشعر بالخجل حقا.

- إياك أن تقول ذلك، يا جدي.

حينذاك، قدم رئيس اللجنة الشعبية في ناحية أونتشون التحية إلى من يجلس مع العجوز وهو يلهث النفس خارج الباب بعد أن هرول إليه فور تلقي الخبر متأخرا:

- السلام عليكم، أيها القائد. أنا رئيس اللجنة الشعبية في هذه الناحية.

تجمد كل أطراف جسم العجوز في تلك اللحظة وهو يتطلع إلى الضيف الذي يدعو رئيس اللجنة الشعبية إلى الجلوس، فغمغم قائلا:

- معذرة حقا، أيها القائد. يؤسفني أن لا أتعرف عليكم من قبل...

- لا تقل لي مثل هذا الكلام، يا جدي. تحدثت عن الزراعة بكونها عماد البلاد الرئيسي فما الخطأ من ذلك؟ أنا أيضا يجب أن أعرف جيدا عن وضع هذه المنطقة، أليس كذلك؟

ذرف العجوز الدموع لبرهات من شدة التأثر، ثم أخرج من جيبه المذكرة الصغيرة الأليفة وعقب قلم الرصاص وأخذ يكتب شيئا ما بعناية.

- أيها القائد. كتبت هنا أن القائد كيم إيل سونغ زار بيتي. سأورث أولئك الأحفاد هذا التسجيل.

- يـا جـدي. مـن الأفضـل لـو تورثهـم هـذه الكتابـة : اقطفـوا حبـات الذهـب فـي كل الجبال.

انفجر تأثر العجوز مجددا وهو يقول:

- لـن أتحسـر أنـا الطاعـن فـي السـن علـى شـيء حتـى ولـو توفيـت الآن. كيـف أبقـى مكتـوف اليديـن فـي هـذا اليـوم السـار لاسـتقبال القائـد؟

نهـض العجـوز واقفـا مـن مقعـده وأخـذ يرقـص مترنحـا بكتفيـه وهـو يضـرب ركبتيـه بيديـه لإثـارة الفـرح.

لقـد عـاش طـوال حياتـه دون أن يعـرف الأغنيـة والرقـص، إلا أن رئيسـنا منحـه البسـمة والتفـاؤل والسـرور.

حـل الربيـع بحيـاة العجـوز التـي تـزداد ذبـولا، مـع حلـول التاريـخ الجديـد، تاريـخ جبـال الذهـب الـذي صنعـه الرئيـس، وهـو مـا كان بحـق ملامـح جديـدة لـوادي كـوزي المفعـم بالنشـاط والحيويـة.

طيور الدرّسة الستة

في صباح أحد أيام كانون الثاني/ يناير عام ١٩٤٨، توقفت السيارة أمام بيت الفلاح في إحدى القرى الجبلية.

حين ألقى صاحب البيت الذي كان يجلس داخل الغرفة بعد تناول الفطور نظرة إلى الخارج من شق الباب وهو يستغرب الأمر، تناهى إلى سمعه صوت جهوري.

- هل يوجد صاحب البيت؟

عندما فتح صاحب البيت الباب، تقدم رجل شاب من بين الوافدين يقول له:

- زرنا بيتك في منتصف العبور لتدفئة أجسامنا.

- تفضلوا بالدخول. ولكن الغرفة حقيرة جدا...

دخل الرجل الشاب إلى الغرفة ودعا صاحب البيت إلى الجلوس لتبادل الحديث واستفسر منه عن أحوال الحياة قبل التحرر وفي الوقت الراهن.

- نجد أنفسنا الآن في عالم جيد بالفعل يطيب للفلاحين مثلنا العيش فيه.

- أي نقطة تعجبك؟

- النقاط الجيدة كثيرة. من الجيد أن لا أرى أولا وجوه الإقطاعيين بسبب زرع الأرض الخاصة بي وثانيا، تتحسن حياتي لأني لا أتعرض لاستغلالهم بعد تصفيتهم. حقا إنني أشعر الآن بانفتاح الشهية وأنام ملء جفوني مرتاح البال.

وافق الرجل الشاب على جوابه وسأله بالتفصيل عما إذا لم تنقصه

الحبوب الغذائية وعما إذا كانت لديه الملابس المتوفرة والدوروماغي (المعطف التقليدي الكوري) الذي يمكنه ارتداؤه عند الخروج من البيت، فضلا عن اللحف.

أجابه صاحب البيت بصراحة أن الحبوب الغذائية كافية له، ولكنه لم يوفر بعد الملابس أو اللحف التي تذكر. من جانبه، قال الرجل الشاب إنه سيتمكن من العيش برخاء إذا حقق المواسم الزراعية الجيدة عن طريق تأدية العمل بجد لحلول العالم الجديد مشيرا إلى سبل الحياة القادمة واحدا واحدا.

(يا له من رجل شاب دقيق. ترى من هو نظرا لأنه يهتم بحرص بالغ بحياة الفلاح في القرية الجبلية؟)

تفرس الرجل الشاب في داخل الغرفة ووجد في ركنها قفص طيور الدرّسة التي قيل إن الأولاد اصطادوها، ثم طلب من صاحب البيت أن يعطيه بعضا منها قائلا إنها طيور جيدة حقا.

- أوه، لماذا لا أعطيك تلك الطيور المتوفرة ؟

قام الرجل الشاب من مقعده قائلا إنه سيأخذها على طريق العودة من القرية السفلى واستطرد:

- يكفينا تدفئة الأجسام. أشكرك على الحفاوة.

بعد أن ودع صاحب البيت الضيوف، أخذ يسترجع ذكرياته لشعوره كأنه شاهد ذلك الرجل الشاب في مكان ما.

فجأة، خطرت بباله صورة القائد كيم إيل سونغ التي شاهدها على الصحيفة، لكنه سرعان ما هز رأسه نفيا وهو يتساءل كيف عساه يأتي إلى بيت الفلاح في هذه القرية الجبلية في حين تدبير شؤون الدولة.

ومع ذلك، انتابه شعور غريب دون سبب ظاهر فما لبث أن هرع

إلى القرية السفلى حيث تهاوى على الأرض بعد أن عرف أن ذلك الشاب الذي زار بيته قبل قليل هو تحديدا القائد كيم إيل سونغ الذي كان يحترمه أيما احترام.

(آه، غبت عن وعيي. كيف لم أتعرف على القائد رغم مرور ثلاث سنوات على تحرر البلاد؟...)

ركض مسرعا إلى البيت رغبة منه في إخطار أفراد عائلته بهذا الخبر السار حيث تلقى من زوجته نبأ أكثر ذهولا مفاده أن الرئيس كيم إيل سونغ عرج على بيته مجددا على طريق العودة وسلم مظروفا ذا مبالغ كبيرة إلى الأولاد مقابل أخذ طيور الدرّسة الستة كما وعده.

عندئذ فقط، أدرك صاحب البيت لماذا أبدى الرئيس كيم إيل سونغ إرادته لأخذ طيور الدرّسة المتوفرة في كل مكان أثناء اطلاعه على أحوال حياة بيته في القرية الجبلية بعد زيارته له، وفطن إلى أن تلك المبالغ ليست مجرد ثمن الطيور، ثم هرول إلى الخارج وفي يده مظروف النقود وهتف بصوت مخنوق نحو اتجاه مغادرة الرئيس وقد انهمرت الدموع من خديه بلا توقف:

- أيها القائد! أيها القائد كيم إيل سونغ المشكور!

عجوز حقق رغبة عمره

ذات يوم من أيار/ مايو عام ١٩٤٨، حان وقت الغداء عندما وصل الرئيس كيم إيل سونغ على طريق توجيهاته الميدانية إلى أحد خزانات المياه في قضاء دايدونغ بمحافظة بيونغآن الجنوبية، فقد أمر لمرافقيه بإعداد وجبة الغداء بالأطعمة التي كانت لديهم.

ثم التقى المسنين الذين أقاموا في هذه المنطقة لمدة طويلة.

قال الرئيس لهم بلطف إنه استدعاهم لتبادل الحديث وتناول الغداء معهم.

- لا أعرف كيف أعبر عن فائق امتناننا لكم.

- يا عجوز، لنتناول الغداء معا. هنيئا لك رغم قلة أطعمتنا الجاهزة.

نفس الطعام لذيذ بصورة أكبر عندما نتناوله هكذا في الهواء الطلق.

بعد أن دعاهم الرئيس إلى تناول الأطعمة، تبادل الحديث معهم للاطلاع على سيرورة الإصلاح الزراعي وحالة أسرهم.

- كم عدد أبنائك، يا عجوز؟

- ابنان صغيران وبنت واحدة.

- ما هو سبب قلة أبنائك هكذا؟

- لأنني تزوجت في الأربعين من عمري بعد أن عملت خادما في بيت الإقطاعي.

ثم، طرح الرئيس نفس السؤال للعجوز «يوم» الجالس بجانبه:

- كم عدد أبنائك، يا عجوز؟

- ليس لدي سوى ابنين.

- لماذا لا يكون الأبناء سواهما؟

- لأن زوجتي توفيت قبل التحرر دون استعمال أي جرعة من الدواء ...

حين لم يتمكن العجوز «يوم» من مواصلة الكلام، تألم الرئيس جدا قائلا إن جميع العجائز عانوا الكثير ولكن كل الأشياء الآن ملك لشعبنا لأن عمالنا وفلاحينا صاروا أصحابا للبلاد والأرض، فعليهم إلحاق جميع الأولاد حتى بالجامعة لتأهيلهم كدعائم رائعة للبلاد.

لدى سماع كلامه المشكور جدا، انتفض العجوز «يوم» واقفا وحياه بانحناءة الرأس وقال:

- كانت رغبة عمري هي أن يتخرج ابناي من المدرسة الثانوية إلى أقصى حد وليس الجامعة.

قابل الرئيس ابني العجوز «يوم» ورجاه قائلا:

- عليك إلحاق هذين الابنين بالجامعة حتما. هذه الضرورة القصوى.

- أشكركم شكرا جزيلا، أيها القائد.

- أتمنى لك، يا عجوز، صحة جيدة وعمرا مديدا. وأرجوك إلحاق ابنيك بالجامعة مهما كلف الأمر.

ثم، غادر الرئيس بعد أن ترك هذا الطلب مرارا ولكن العجوز «يوم» بقي يذرف الدموع فقط وهو يتطلع إليه دون أن يوجه الشكر والتحية إليه وقد حقق رغبة عمره.

سبب زيارة بيت الفلاح

في أحد أيام أيار/ مايو عام ١٩٤٨، زار الرئيس كيم إيل سونغ بيت أحد الفلاحين الواقع في مدخل قرية نامري.

بعد أن تبادل التحية مع صاحب البيت المسن، سأله عن وضع حياته.

- هل تحسنت حياتك بعض الشيء بعد استلام الأرض؟

- بالطبع، تحسنت.

رد العجوز عليه ببساطة وقال بابتهاج إن عدد أفراد أسرته يبلغ ٧ أشخاص ومن بينهم ٤ من الأيدي العاملة، لذا لا نعرف هما وقلقا بالنسبة للغذاء بفضل استلام مساحة كبيرة من الأرض ونربي البقر والخنزير وغيرهما من جميع المواشي مما سيذهل الإقطاعيين جدا عند قدومهم.

ابتسم الرئيس ابتسامة عريضة وهو يتأمل العجوز الذي لا يتمالك نفسه لشدة الفرح، ثم توجه إلى حظيرة الخنازير حيث شاهد الخنزير الذي يتراوح وزنه بين ٧٠ و٨٠ كغ، وسأله عن كيفية معالجة الخنازير بعد تربيتها.

- نذبحها للأكل في البيت أو نبيعها.

قال الرئيس:

- من الأفضل من ذلك بيعها إلى الجمعية الاستهلاكية وشراؤها قليلا منها إذا أردت أكلها. حين ذبحها في البيت، لا يمكن أكلها عند الحاجة إلا عند ذبحها.

ثم دخل الرئيس إلى المطبخ وفتح غطاء القدر مما أثار الدهشة الشديدة منه.

- يبدو أنكم تفتقرون إلى الحبوب الغذائية، نظرا لطبخ طعام الحبوب غير الأرزية.

- لا، طبختـه اليـوم زوجتـي نـادرا لأن أفـراد أسـرتي أصـروا علـى أن الطعـام المختلـط بالـذرة يضاعـف القـوة. الخوابـي مليئـة بـالأرز.

- إذن، هل يمكنك عرض الأرز علي؟

فتح العجوز أغطية جميع الخوابي المليئة بالأرز بكاملها.

نظـر الرئيس إلـى داخـل الخوابـي وارتسـمت على محيـاه ابتسـامة عريضة كمـا لـو أنـه أصبـح مطمئـن البال.

حينـذاك، قدمـت ربـة البيـت التـي هرولـت إلـى الرئيـس التحيـة إليـه، فقالهـا بلطـف:

- شاهدت خوابي الأرز أثناء غياب ربة البيت.

مع السلامة، وداعا لكما.

- كيف يمكنكم أن تغادروا هكذا دون ضيافة، أيها القائد؟

اسـتغرب العجـوزان فـي الأمـر وهمـا يودعانـه شـاعرين بالأسـف الشـديد لعـدم تكريمـه فـي الغرفـة رغـم قدومـه لأول مـرة.

- اسمعي يا زوجتي، لماذا زار القائد بيتنا؟

- لست متأكدة.

لـم يسـتطيعا أن يعرفـا أن الرئيـس زار بيتهمـا للاطـلاع علـى حالـة غـذاء الفلاحيـن فـي عـز موسـم الزراعـة علـى الرغـم مـن كثـرة مشـاغله، وغـادر بفـرح لتفقـد بيـت الفـلاح الـذي يعيـش برخـاء دون هـم أو قلـق.

حظ عجوز ذو أكثر من ٥٠ من أفراد الأسرة

ذات يوم من حزيران / يونيو عام ١٩٤٨، دخلت السيارة التي تقل الرئيس كيم إيل سونغ إلى الدرب الضيق الملتوي المعد للعربة في إحدى القرى بقضاء كيلزو.

كان هذا الدرب غير صالح جدا لقطع السيارة حتى إن السيارة الجارية في المقدمة انغرست أخيرا في الطمي لكون الدرب موحلا جدا بسبب هطول المطر طوال الليل.

بعد ما أخرج الرئيس السيارة من الطمي مع مرافقيه، بات حذاؤه ملوثا بالطين الكثير.

رأى أحد مرافقيه ذلك وقال له:

- أيها القائد، كان حذاؤكم ملوثا بالطين الكثير.

قال الرئيس إن حذاءه سواء بسواء متابعا:

- أنتم تقلقون على حذائي الملوث بالطين ولكن لا بأس. ليست مشكلة وإن كانت أحذيتنا ملوثة بالطين في الريف ما دام الفلاحون يعملون ملطخين بالطين على مدى الحياة. إذا أردنا زيارة الفلاحين، فمن الطبيعي أن تلوث أحذيتنا بالطين.

ثم، دخل الرئيس إلى فناء البيت الأول على جانب الدرب وحيا العجوز الجالس على المصطبة قائلا:

- السلام عليكم، يا عجوز.

- ياه، أنتم؟

نهض العجوز من مقعده على عجل وسلم عليه.

- هل أقمت مطولا في هذه القرية؟

- نعم. عشت هنا حتى الآن بعد أن أبصرت النور.

- هل تلقيت أنت أيضا الأرض؟

- أزرع الأرض الخاصة بي لأول مرة في حياتي بفضلكم الكبير كالسماء.

- لا يعود ذلك إلى فضلي. من أمر جيد أن تلقيتم الأراضي الخاصة بكم.

تابع يسأله عن وضع الحياة الحالية بالمقارنة مع ما كانت عليه قبل التحرر.

أجابه العجوز بأنه عمل خادما لبيت الإقطاعي قبل التحرر، ولكن يبلغ عدد أفراد أسرته الآن أكثر من ٥٠ شخصا بجمع الأبناء والبنات والأحفاد والحفيدات ومن بينهم يذهب كل الأولاد الذين في سن الدراسة إلى المدرسة، فلم يتصور فعلا حلول هذا العالم الرائع حتى في المنام.

فقد ضحك الرئيس ضحكة عريضة قائلا إنه لأمر عظيم وجيد حقا أن يكون لديه أكثر من ٥٠ من الأبناء والبنات والأحفاد والحفيدات واستطرد:

- أصبح جميع فلاحينا يعيشون في بحبوحة بفضل تسلم الأراضي وأضحى الأولاد كافة يدرسون في المدارس.

... ينبغي إجادة تعليم أولئك الأولاد ليتأهلوا ككوادر جديرين بالثقة للبلاد.

- شكرا لكم.

أتمنى لك، يا عجوز، عمرا مديدا في العالم الرائع. وداعا لك.

- مع السلامة، أيها القائد. ربما لا يوجد في العالم عجوز محظوظ مثلي. لا، ليس بالتأكيد.

كان ذلك حظا لأبناء الشعب في كل أرجاء البلاد الذين يتمتعون بقيادة الرئيس العظيم كيم إيل سونغ، لا حظا للعجوز وحده.

رسم خط قنوات المياه الممتدة إلى ٥٠٠٠ ري (١)

ذات يوم من أيلول/ سبتمبر عام ١٩٤٨، زار الرئيس كيم إيل سونغ إحدى القرى الواقعة في أقصى سهل يولدو سامتشولي بعد تفقد المشاريع الرئيسية لبناء شبكات بيونغنام للري والتي كانت على وشك إطلاق بنائها.

اطلع الرئيس من كادر اللجنة الشعبية للقرية على وضع القرية، وفي أثناء ذلك، سأله الرئيس فجأة:

- رأيت أثناء مجيئتي إلى هنا قدرا كبيرا من حقول القصب. لماذا يترك السهل الجيد سائبا بلا زرع؟

- نترك حتى حقول الأرز الحالية سباتا لافتقارنا إلى المياه.

- كم مساحة من الأراضي السائبة بسبب شح المياه؟

- تبلغ مساحة حقول القصب وحدها أكثر من ٦٠ هكتارا.

توجه الرئيس فورا إلى مستنقع ينمو فيه القصب بكثافة حيث غطست الجزمة في الوحل حتى ساقها.

(١) ري: وحدة مسافة كورية تساوي حوالي نحو ٣٩٣ مترا

جال فيه وهو يقول بأسى إن الأراضي الجيدة كافة تبقى سائبة بلا زرع لشح المياه.

وأبدى رغبته في المبيت هنا اليوم مهما كانت مشاغله كثيرة للاطلاع على تفاصيل حياة الفلاحين وحالة الزراعة في هذه المنطقة.

خاطبه أحد الكوادر قائلا:

- لا يمكنكم، في رأيي، أن تستريحوا هنا لانعدام مياه الشرب في هذه المنطقة.

أنبه الرئيس بصوت خافت قائلا إنه يكفيه الماء الذي يشربه أهالي هذه القرية.

آنذاك، كانوا يشربون مياه المطر بجمعها أو المياه الراكدة في البركة بعد تصفيتها بسبب انعدام الينبوع.

سيطرت الحيرة على الياور وقال:

- أيها القائد، يشرب أهالي هذه القرية ماء ماتاري (الماء الراكد- المترجم) دون تطهيره.

- لا مشكلة من ذلك. يكفي شرب الماء بعد غليه.

أقام الرئيس في بيت أحد الفلاحين وجلس مع الفلاحين في القرية وجها لوجه عند المساء.

استهل الحديث بالقول إنهم يبذلون جهودا كبيرة في الزراعة، وضحك ضحكة عريضة متابعا بأنهم عاشوا منكمشين على أنفسهم تحت وطأة الأوغاد اليابانيين والإقطاعيين قبل التحرر، ولكن ليست ثمة مشكلة صعبة الآن لأن فلاحينا صاروا أصحابا للبلاد.

وسأل رئيس اللجنة الشعبية للقرية:

- كيف حالة زراعة هذا العام؟

- لم نشهد حصادا وافرا.

- قصرنا في الزراعة بسبب الأضرار الإضافية الناجمة عن الجفاف، إلى جانب عدم نثر البذار في حينه في الربيع لاستمرار البرد المتأخر.

أدرك الرئيس أن المشكلة أيضا في المياه واستغرق في التفكير لبعض الوقت شاعرا بالألم الذي يعتصر قلبه وقال:

- ليس من باب الصدفة أن يقولوا إن الفلاحين في هذه المنطقة يقومون بالزراعة متطلعين إلى السماء فقط. الماء أثمن شيء للفلاحين في سهل يولدو سامتشولي. المهم هو أولا وثانيا الماء. لذا قررنا تنفيذ مشروع بيونغنام للري في أول عام عقب التحرر.

بعد أن تبادل الحديث بخصوص مسألتي الزراعة والماء حتى ساعة متأخرة من الليل، راجع مخطط بناء منشآت الري على ضوء قنديل الكربيد إلى أن انبلج الصبح.

فقد توسل أحد الكوادر إليه بإلحاح، قائلا:

- أيها القائد، ينبثق الفجر، فأرجوكم أن تستريحوا الآن ولو بالقليل.

قال الرئيس له بجدية:

- لا يأتيني النوم حين أفكر في الفلاحين بهذه المنطقة الذين يغرسون شتلات الأرز بالعيدان لنقص المياه حتى تتقرح أطراف أيديهم. لن أستريح إلا بعد تحقيق أمنيتهم الدهرية في الماء. لا تقلقوا علي، بل عليكم أن تستريحوا بسرعة.

ثم، أخذ يرسم الخطوط على مخطط بناء منشآت بيونغنام للري مشيرا إلى قنوات المياه الممتدة إلى ٥٠٠٠ ري.

تحويل وجهة السيارة

ذات يوم من كانون الثاني/ يناير عام ١٩٤٩، توجه الرئيس كيم إيل سونغ إلى بيونغ يانغ في منتصف الليل بعد زيارته لقرية سامهوا من ناحية سائين (حينذاك) وهو على طريق توجيهاته الميدانية لقضاء سونتشون بمحافظة بيونغآن الجنوبية.

غرق الرئيس في تفكير عميق وهو ينظر من نافذة السيارة الجارية، إلى الخارج الذي يلفه الظلام وقال فجأة لنفسه بهدوء:

- يبدو أن بيت الفلاح الذي زرناه أولا كان أفقر بيت في هذه القرية قبل التحرر، فلا أستطيع المغادرة بمجرد تبادل الحديث معه للحظات في الخارج نهارا...

قال الرئيس في إشارة إلى بيت الفلاح الذي زاره أولا في ذلك اليوم عند ذهابه إلى قرية سامهوا. واستطرد قائلا:

- لعل صاحب ذلك البيت يأسف مفكرا في أن رئيس الوزراء للبلاد أيضا عاد من فناء بيته دون أن يدخل الغرف لأن بيته حقير.

علينا أن نرجع إلي بيته لنستريح فيه هذه الليلة ونحن نتبادل الحديث مع صاحبه.

لم يتفوه ياوره بأي كلام من الدهشة.

بعد برهات، حولت السيارة وجهتها مجددا إلى قرية سامهوا.

عندما دنت السيارة من القرية، أوصى الرئيس بدخول القرية بهدوء قائلا إن أهالي القرية لن ينامو نوما هادئا للاندفاع جارين للترحيب بنا إذا

عرفوا عن قدومنا المجدد، ودعا إلى إيقاف السيارة تحت شجرة الدردار القائمة في مدخل القرية ثم أضاف:

- عندما ندخل ذلك البيت فقد يعد أهله وجبة العشاء تكريما لنا. فلندخل بعد تناول الطعام ببساطة في السيارة إذا ما بقي في النهار.

سيطرت الحيرة الشديدة على الياور الذي اضطر إلى تقديم وجبة العشاء من الطعام الجاف متأخرا في داخل السيارة عندما كان الجو باردا في معمعان الشتاء.

إلا أن الرئيس واساه قائلا إننا لم نناضل في الجبال على الأرز الدافئ والحساء الساخن في الغرفة المدفأة، فلا بأس.

كان الوقت في حوالي ساعة الصفر وعشرين دقيقة، أي في بداية اليوم الجديد، حين زار الرئيس مجددا بيت ذلك الفلاح المذكور.

نادى الرئيس صاحب البيت بصوت خافت وقال:

- عدت إليك قلقا من أنك، يا عجوز، تشعر بالأسف لأني أغادر المكان بعد لقائي بك لحظات في الخارج.

- أشكركم، أيها القائد، على اهتمامكم بي أنا المسن البائس... شكرا... شكرا جزيلا.

تبادل الرئيس الحديث معه بلطف.

- كيف حياتك؟

- اشتريت حتى الثور بزرع الأرض التي أعطيتموها لي.

- أنا مسرور جدا لشرائك الثور بعد الإصلاح الزراعي. في الماضي، عانى فلاحونا كثيرا من المشاق لافتقارهم إلى ثيران الجر جيلا بعد جيل.

- إضافة إلى ثور الجر، وفرت اللحاف والأدوات المطبخية أيضا بعد الإصلاح الزراعي.

- هل أصبحت لك اللحاف وشتى أسباب العيش كافة بعد الإصلاح الزراعي؟

ابتسم الرئيس ابتسامة عريضة لشدة الارتياح وقال:

- يا عجوز، لنعمل بصورة أفضل أنا أثق بك وأنت تساعدني.

- أيها القائد، أنا في غاية الامتنان لكم. إننا نحن عامة الشعب سندعمكم ونبجلكم فقط.

عندما هم الرئيس بالانصراف في حوالي الساعة الخامسة فجرا بعد سهر الليل هكذا، طلب العجوز منه بإلحاح:

- أيها القائد، أعددنا وجبة الفطور وإن كانت غير لائقة، فلا أريد أي شيء إذا تناولتموها.

قال الرئيس إنه شاكر له ولكن اعتذر عن ذلك قائلا:

- لماذا أعددتم الطعام عندما لا تزال حياتكم معسرة؟ نتمكن من الوصول إلى بيونغ يانغ خلال وقت قصير، أليس كذلك؟

- هذا ليس أكثر من إخلاصي فأرجوكم تلبية رغبتي.

لم يستطع الرئيس رفض الطلب الملح للزوجين العجوزين فتناول الطعام معهما قبل أن يودعهما قائلا: الآن، سأغادركما وقد سببت لكما كثيرا من الإزعاج. أتمنى لكما عمرا مديدا من صميم قلبي.

تناول وجبة العشاء مع الفلاحين

ذات يوم من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٤٩، عرج الرئيس كيم إيل سونغ على حارة هونغزو في منتصف الطريق إلى كانغكي ودعا إلى إيقاف السيارة أمام مدرسة ابتدائية لتفقدها.

تبادل الحديث مع الفلاحين في القرية في بيت ناظر المدرسة الواقع بقربها وشاهد العرض الفني البسيط الذي يقدمه التلاميذ حتى كانت القرية الجبلية مسربلة بظلمة المساء بعد أفول الشمس إلى المغرب إثر نهار قصير.

مانع الرئيس الفلاحين الذين ينهضون على عجل وطلب من مرافقه إحضار مائدة العشاء.

أدرك الفلاحون خطأهم.

(أين هذه المعاملة الفظة الخالية من التهذيب لأننا نجلس إلى مائدة العشاء التي يعدها القائد بدل أن نقدم له أطايب الأطعمة حين يزور قريتنا؟)

لم يعرف الفلاحون ماذا يفعلون لأن الرئيس ملأ كأسا من الخمر ليقدمها لكل منهم.

قال أحدهم:

- جلسنا هكذا إلى مائدة العشاء التي تعدونها، أيها القائد، دون أن نفكر في ذبح ولو ثور لتقديمه لكم أنتم تزورون قريتنا. أين أمر أكثر حماقة من هذا؟ نرجو المعذرة حقا.

سأله الرئيس بحنان.

- هل يوجد ثور في بيتك؟

- قبل فترة، اشتريت ثورا واحدا بعد مزاولة الزراعة على الأرض التي وزعتموها علي.

حسب الرئيس شيئا في سره لبرهات، ثم قال:

- ألا ترى؟ شراء ثور واحد يتطلب كسب المال خلال ٤ أعوام، فلا يمكنك شراؤه إلا بعد ٤ سنوات إذا قمت بذبحه بحجة مجيئي.

ابتسم الرئيس بإشراق لتبديد الحيرة والارتباك منهم.

- أيها القائد!

غمغم الفلاحون دون أن يكملوا كلامهم.

توعية تفوق المكننة

ذات يوم من تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٤٩، زار الرئيس كيم إيل سونغ إحدى القرى في قضاء زايريونغ بمحافظة هوانغهاي حيث تأمل الجرارة التي تقوم بالحراثة في السهل مترامي الأطراف مطلقة الهدير الخفيف.

ثم اقترب من فلاح يعمل في مكان قريب وقال:

- سلمت يداك.

وسأله مشيرا إلى حقل الأرز الذي تحرثه الجرارة.

- أيهما أفضل بين حراثتي حقول الأرز عميقا أو غير عميق في رأيك؟

- أرى من الجيد حراثة الحقول بعمق.

- كم تزيد الغلة في مازيغي(١) واحد عند حراثة الحقول بعمق وتسميدها الكافي؟

- يمكن زيادة الغلة بمقدار ٦ سوم(٢) على أقل تقدير.

أجاب الفلاح على هذا النحو، لكنه لم يفتح فمه مترددا على سؤال الرئيس عن كمية الغلة المتزايدة عند الحراثة الخريفية.

كان يفتقر إلى خبرة الزراعة إذ أنه عاش حياة المياومة أساسا في المناجم أو مشاريع البناء قبل التحرر.

---

(١) مازيغي: وحدة مساحة كورية قديمة تساوي ٦٦٠- ٩٩٠ م٢

(٢) سوم: وحدة كورية لقياس حجم الحبوب تساوي ١٥٠ كغ

سأل الرئيس عما إذا لم يكن شخص ذو خبرة كبيرة في الزراعة وهو يجول بناظريه على أهالي القرية المجتمعين. تقدم فلاح مسن إلى الأمام فقد سأله بلطف:

- ما رأيك في القيام بالحراثة الخريفية بالجرارة؟

- من الأفضل أن أصبحنا نعيش بكرامة دون أن نتوسل إلى من يملكون المال والثيران، بفضل الجرارات التي أرسلتموها إلينا.

- ولكن لماذا لا يفضل بعض الفلاحين حراثة الحقول بالجرارة؟

تخضبت وجوه الفلاحين بحمرة الخجل لقوله هذا.

ذلك لأنهم كانوا يخشون من أن تحرث الجرارة حقولهم دون تمييز بإزالة أضلاعها انطلاقا من التعلق بالأراضي الخاصة بهم.

فيما يتأمل الرئيس حقول الأرز الفسيحة، قال بسرور بالغ إن حراثة الحقول بالجرارة سريعة وجيدة حقا، مؤكدا بكل ثقة أن الفلاحين سيتخلصون من العمل الشاق فيما بعد ويقومون بكل أعمال الزراعة بالآلات، فضلا عن الحراثة واستطرد:

- عندئذ، ستصبح الزراعة سهلة وتتحسن معيشة الفلاحين بصورة ملحوظة، إضافة إلى تحديث أرياف بلادنا.

ما زال هدير جرارة الحراثة التي تهز الحقول يشق عنان السماء الزرقاء إيذانا بولادة مكننة الريف المرتقبة.

أول سائق جرارة في البلاد

ذات يـوم مـن تشـرين الثانـي/ نوفمبـر عـام ١٩٤٩، توجـه الرئيـس كيم إيل سونغ إلى مركز الاختبار الزراعي الواقع في ساريواون ليشاهد ملامح حراثة الحقول بالجرارة.

سأل الرئيس السائق المسؤول:

- متى تعلمت فن قيادة الجرارة؟

- تعلمته في بيونغ يانغ عام ١٩٤٧.

بعد سماع جوابه، قدمه الرئيس لمرافقيه قائلا: هذا الرفيق أول سائق جرارة في بلادنا.

ثم سأله عن عدد أفراد عائلته وعما إذا لم يشعر بالصعوبة في حراثة حقول الأرز بالجرارة، وعما إذا كانت الجرارة تعمل جيدا دون تعطل.

أجاب على سؤاله الحنون كوالديه الحقيقيين أنه وجد صعوبات عند بداية قيادة الجرارة، ولكن ليس الآن أمر صعب بسبب تحسن تقنيته بعض الشيء وازدياد مستوى التأهل، وتعمل الجرارة جيدا دون تعطل.

سمع الرئيس جوابه بارتياح ورمقه بالنظرة الراضية والحنونة وقال:

عليك أن تصبح رائدا في النضال للقيام بالأعمال الزراعية بالآلات عن طريق رفع تقنيتك بصورة أكبر عبر الدراسة بجد وتأهيل عدد كبير من الاحتياطيين فيما بعد.

أضاف أن الفلاحين في بلادنا يعتبرون طريقة الزراعة بالآلات أمرا يكتنفه الغموض ولا يريدون إدخالها بنشاط حتى الآن لأنهم تعاطوا الزراعة

ردحا طويلا من الزمن بالأدوات المتخلفة وحدها مهرقين الدماء والعرق تحت الاستغلال الإقطاعي والقمع القاسي للإمبريالية اليابانية.

أردف قائلا إن الأمنية الدهرية للفلاحين في امتلاك الأرض الخاصة بهم وجدت الحلول الآن، فمن الضروري تحريرهم من العمل الشاق عن طريق تصنيع عدد كبير من مختلف أنواع الآلات الزراعية بتنمية صناعة البلاد، مؤكدا على واجب مركز ساريواون للاختبار الزراعي أيضا للإكثار من الاختبارات لتسهيل الأعمال الزراعية الصعبة بابتكار الآلات الزراعية المتنوعة وتحسين الأدوات الزراعية التقليدية على حد سواء.

لدى سماع أقواله، أدرك السائق مجددا أهمية المهام المنوطة به في عملية مكننة الريف القادمة.

تبادل الحديث مع التربين الاثنين

في فجر أحد أيام تموز/ يوليو عام ١٩٥٠، سمع الرئيس كيم إيل سونغ جلجلة جرس البقر وسط الظلام وطلب من السائق إيقاف السيارة وهو في طريق العودة من التوجيه الميداني لمقر قيادة الجبهة إلى بيونغ يانغ.

بعد أن علم بأن الفلاحين يتجهان إلى الجبهة بالقمح من الضريبة العينية، قال مشيرا إلى السماء المنورة على ضوء قنبلة الإضاءة إن الأوغاد الأمريكيين يبذلون كل المساعي اليائسة هكذا، إلا أن فلاحينا يساعدون أفراد الجيش الشعبي المناضلين حتى في مثل هذه الليلة، فهم جديرون بالثناء حقا، ثم دعا مرافقيه إلى تبادل الحديث لبعض الوقت مع ذينك الفلاحين قبل المغادرة. لذا، ترجل الرئيس من السيارة ونقل خطاه نحو شجرة الكستناء العملاقة عند سفح الربوة.

جالسهما على الصخرة دون تكليف وناولهما السيجارة، ثم سألهما فجأة عن عمرهما.

أجاب أحدهما:

- إننا في نفس العمر في الثامنة والثلاثين.

سأله الرئيس مجددا عن تاريخ ميلادهما.

- هذا الرفيق مولود في تشرين الثاني/ نوفمبر، وأنا في كانون الأول/ ديسمبر.

ضحك الرئيس مقهقها قائلا إننا في نفس العمر ولكنهما أصغر ان منه لأن تاريخ ميلادهما أدنى من تاريخ ميلاده واقترح عليهما أن يتبادلوا

الحديث بصراحة دون تكلف بين الأتراب.

قال إن الفلاحين قد يعانون الشقاء الأكبر بسبب تقديم مؤن الجيش أولا على الرغم من أن أغذيتهم غير كافية هنا حيث لا توجد حقول الأرز والأرض المنبسطة قليلة.

خاطبه أحدهما:

- قريبا، يمكننا أكل الذرة الخضراء فلا مشكلة أبدا.

غرق الرئيس في تفكير عميق بعد سماع جوابهما.

قال أحد الفلاحين إن المنطقة التي يقطنها كانت في الماضي غير صالحة لعيش الإنسان إذ لم يزرع فيها إلا الدخن أو البطاطا، إلا أنهم أصبحوا يعيشون برخاء بفضل القائد كيم إيل سونغ الذي حرص على منحهم الأرض والأسمدة وأتاح للكثير من أسر الفلاحين أن تملك الثيران، فمن الطبيعي أن يقدموا هذا القدر من المساعدة لمصلحة البلاد.

انضم الفلاح الآخر إلى الحديث قائلا:

- نتمكن من العيش برخاء إذا قهرنا الأعداء الأمريكيين.

أكد الرئيس أنه لا يمكن إحراز النصر في الحرب إلا عندما تكون المؤخرة راسخة، وقال:

- سنواجه الكثير من الأعمال بعد الانتصار في الحرب، لكننا نخطط لتوجيه الجهود الكبيرة إلى العمل لإثراء الفلاحين.

ننوي بناء البيوت المسقوفة بالقرميد وإيصال الكهرباء وتنفيذ المشاريع لري جميع حقول الأرز، وذلك على حساب الدولة.

قال الرئيس إن الناس قادرون على تحويل قراهم إلى مناطق يطيب العيش فيها إذا أقبلوا على العمل بالعزيمة، مشيرا إلى تفاصيل الأعمال التي يجب على الفلاحين القيام بها كونهم أصحاب هذه الأرض.

قالا الفلاحان له:

- شكرا جزيلا على أقوالكم المفيدة.

إن الإيمان الذي منحه الرئيس لهذين الفلاحين العاديين أثناء لقائه بهما على طريق الجبهة، وملامحه الحنونة حين كان يرسم الخطة الرائعة لبناء موطنهما في الغد المنتصر، أصبحا محفوظين للأبد في قلبيهما.

الدرس في وادي ريمسونغ

زار الرئيس كيم إيل سونغ بيت أحد الفلاحين في وادي ريمسونغ والذي يقوم بدرس السرغوم قبل ظهر أحد أيام تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٥٠.

- سلمت يداك.

قال الرئيس بلطف كما لو أنه يزور بيت الجار وهو يدخل فناء البيت الذي تنتشر فيه أكواز السرغوم.

- أوه...

عندما هرع الفلاح إليه على عجل، قال له «واصل الدرس من فضلك» ودار بعينيه على الفناء حيث كان درس السرغوم في أوجه.

وسأله الرئيس:

- من الأفضل درس فول الصويا في مثل هذا اليوم البارد ولكن لماذا تدرس السرغوم؟

- بدأنا درس السرغوم لتقديم الضريبة العينية حسب أصناف الحبوب الغذائية.

دعـا الرئيـس الفـلاح وزوجتـه بحنـان إلـى درس السـرغوم معـا، ثـم أخـذ يضـرب السـرغوم بالمضـرب اليـدوي.

كلمـا هـوى المضـرب اليـدوي علـى أكـواز السـرغوم مطلقـا صـوت الصفيـر، تناثـرت حبـات السـرغوم الناضجـة جيـدا علـى التوالـي.

ازداد جو الدرس بهجة ونشاطا بالتدريج.

سـأل الرئيـس يـاوره الـذي لـم يتمالـك نفسـه مـن شـدة الإعجـاب بأسـلوب عملـه الماهـر:

- يا رفيق، هل سبق لك استخدام المضرب اليدوي؟

- استخدمته كثيرا أثناء إقامتي في شمال شرقي الصين.

نظـرا لأنـه اكتـوى فـي الأعمـال الزراعيـة المرهقـة منـذ طفولتـه، رد علـى سـؤال الرئيـس وتسـلم منـه المضـرب اليـدوي وطفـق يلـوح بـه.

أشـاد الرئيـس بـه قائـلا «مرحـى» وهو يتأمـل أسـلوب اسـتخدامه للمضـرب اليدوي.

لـذا، ارتفعـت معنويـات اليـاور حتـى لـوح بالمضـرب اليـدوي بقـوة أكبـر ولكنـه ضـرب أذنـه بـه بسـبب هفـوة ممـا انتـزع ضحـكات المشـاهدين.

ابتسـم الرئيـس أيضـا وجلـس علـى المصطبـة مقترحـا علـى الزوجيـن مـن الفلاحيـن الاسـتراحة لبعـض الوقـت.

نظـر الرئيـس إلـى كومـة مـن سـيقان الـذرة أمـام البيـت ولـم تقطـف منهـا الأكـواز فـي الحقـول وقـال:

- هنالك سيقان الذرة المكدسة، أليس كذلك؟ ما زالت تحمل الأكواز.

ثـم سـأل صاحـب البيـت عـن تفاصيـل أحـوال الزراعـة مثـل العمـل الأساسـي الراهـن للفلاحيـن وكميـة سـيقان الـذرة التـي لـم تقطـف بعـد الأكـواز منهـا وقـال لليـاور:

- قوموا بمثل ذلك العمل. أخبر الوحدات المرابطة في كوسانزين لتساعد عمل الفلاحين.

هكذا، انتشر مشهد مساعدة أفراد الجيش الحصاد الخريفي للفلاحين في القرى الجبلية، أولئك الذين انطلقوا إلى المعارك الحاسمة التي تقرر مصير الحرب.

أقرباء الرئيس يشتغلون بالزراعة

ذات يوم من شباط/ فبراير عام ١٩٥١، استدعى الرئيس كيم إيل سونغ الياور المسؤول في مكتب القيادة العليا الواقعة في قرية كونزي وأوصاه بإحضار الرجال القادرين على العمل من بين أقربائه المقيمين في المؤخرة، بمن فيهم عمه الساكن بمانكيونغداي وخاله إلى مانكيونغداي لمزاولة الزراعة فيها.

لدى سماع قوله، دهش الياور.

(هل يود إحضار الأقرباء من أصل مانكيونغداي للزراعة؟)

حتى عندما انتخب القائد كيم إيل سونغ رئيسا للدولة بعد تحرر الوطن، لم يترك جده كيم بو هيون وعمه كيم هيونغ روك وغيرهما من أقربائه المعزقة عن أيديهم قائلين إن الزراعة هي عماد البلد الرئيسي.

قال الرئيس الذي يعرف جيدا خصال أقربائه هذه:

- على الأخص، طالما أنهم يعرفون جيدا أن شعبنا يخوض الآن نضالا عسيرا لإحراز النصر في الحرب بعد التغلب على المحن أثناء التراجع الاستراتيجي المؤقت، سيرغبون في القيام بأي عمل في بيونغ

يانـغ. إذا طلبـت منهـم أن يأتـوا إلـى مانكيونغـداي لمزاولـة الزراعـة فإنهـم أيضـا سـيفرحون. إنـه لأمـر جيـد أن نجعـل الأقربـاء المقيميـن فـي المؤخـرة يقدمـون إلـى مانكيونغـداي للزراعـة، سـواء بالنظـر إلـى رغبتهـم وصحتهـم أو مـن ناحيـة الحفـاظ علـى سـلوكية عائلتـي العاملـة جيـلا بعـد جيـل فـي مانكيونغـداي وتشـيلكول ...

نتيجـة لذلـك، أصبـح أقربـاء الرئيـس كيـم إيـل سـونغ يقفـون فـي مقدمـة النضـال لإنتـاج الحبـوب فـي زمـن الحـرب وهـم يعيشـون حيـاة الفـلاح العاديـة فـي مانكيونغـداي والمنطقـة القريبـة مـن بيونـغ يانـغ.

المزارع الفخري

فـي قريـة واونهـوا حقـل زرع فيـه الرئيـس كيـم إيـل سـونغ البـذور إبـان الحـرب.

ذات يـوم مـن أيـار/ مايـو عـام ١٩٥٢، جـاء الرئيـس كيـم إيـل سـونغ إلـى هـذا الحقـل حيـن كان زرع بـذور الأرز للفلاحيـن فـي الحقـول البعليـة يشـهد ذروتـه.

اسـتدعى الرئيـس الفلاحيـن قائـلا «مـا أعظـم جهودكـم للعمـل. تعالـوا جميعـا إلـى هنـا» وأمسـك بأيديهـم الخشـنة واحـدة تلـو الأخـرى.

رأى الفلاحـات يحرثـن الحقـول بعـد وضـع الأعشـاب التنكريـة علـى ظهور الثيـران وقال:

- إنه لأمر رائع جدا أن تحرث النساء.

أدرك الرئيـس أثنـاء تبـادل الحديـث معهـن أنهـن يعملـن بعـد تشـكيل فـرق

المشاركة في استخدام الثيران وفرق التعاون في الأيدي العاملة.

قلن له إنهن يعملن عن طريق تشكيل فريق المشاركة في استخدام الثيران كل ٥ إلى ٦ أسر بعد شراء ثور واحد بصورة مشتركة والتعاون في الأيدي العاملة.

أيد الرئيس أسلوب عملهن بنشاط وقال بلهجة الرضا:

- تقوم قرية واونهوا بالزراعة من خلال المساعدة المتبادلة بتشكيل فرق المشاركة في استخدام الثيران وفرق التعاون في الأيدي العاملة وهذا أمر جيد. إنه لعادة جميلة تقليدية لفلاحينا أن يزاولوا الزراعة متضافرين القوة ومساعدين بعضهم بعضا عبر التعاون في الأيدي العاملة والمشاركة في استخدام الثيران.

ثم، تسلم سلة البذور وراح يزرعها على جدري الحقل.

قال مقهقها لعجوز يبذر إلى جانبه «لنر هل يكون الأرز في أي جدر أفضل في الخريف بعد الإشارة إلى كل من الجدرين بذرت أنت فيه وبذرت أنا بدق الوتد».

واصل الرئيس زرع البذور وعلى محياه ابتسامة عريضة.

كان البذر الذي زرعه الرئيس في ذلك اليوم أول بذر للتعاون الزراعي سيزرعه في كل أنحاء البلاد فيما بعد.

بعد ثلاثة أعوام من ذلك، زار الرئيس مجددا قرية واونهوا وأعرب عن الارتياح الفائق بسبب ازدياد الرجال المتدفقين بالحيوية بالمقارنة مع فترة الحرب.

شعر الرئيس بالسرور كما لو أن ذلك أمر يخصه قائلا إن العمل سيغدو ممتعا في نظره لكثرة الجنود المسرحين وأعضاء اتحاد الشباب الديمقراطي وأضاف:

- أنا أيضا عضو في تعاونية هنا، فلنعمل معا على تطوير تعاونية واونهوا بمزاولة الزراعة على أفضل وجه وإن لم أعرف هل أكون مساعدة لها.

منذ ذلك الحين، توجه الرئيس إلى واونهوا عدة مرات في العام الواحد، وكل عام تقريبا ليقود تلك التعاونية خطوة بعد خطوة إلى إكمال عملية التعاون دون أي انحراف.

هكذا، بذل الرئيس كل ما بوسعه من أجل المزرعة حتى آخر فترة من حياته بصفته «مزارعا فخريا «.

نقل امرأة ريفية بالسيارة

في ليلة أحد أيام أيار/ مايو عام ١٩٥٣، كانت السيارة التي تقل الرئيس كيم إيل سونغ تعبر الجسر.

أمر الرئيس السائق بإيقاف السيارة وفتح الباب لينزل إلى الطريق.

وأوصى الياور بإحضار تلك المرأة التي تمشي حاملة على ظهرها الأمتعة لركوب سيارته، مشيرا إليها.

حين ارتبكت المرأة لشدة الامتنان دون أن تعرف أن من يدعوها إلى ركوب السيارة هو الرئيس كيم إيل سونغ، طلب الرئيس منها أن تجلس براحة البال وسألها عن عدد أفراد عائلتها وحالة أقربائها.

بعد أن سمع الرئيس جوابها بأن عدد أفراد عائلتها يبلغ ثلاثة أشخاص وهي تعيش مع حماتها فقط في البيت لانضمام ابنها إلى الجيش الشعبي وليس ثمة أقرباء ملازمون لأن زوجها ابن وحيد منذ

ثلاثة أجيال، حدق إليها لبرهات.

بعد أن تأمل وجهها المتغضن ويديها الخشنتين كما لو أنه يتصور ملامح النساء في هذا البلد من ملامح تلك المرأة المسنة التي تسعى جاهدة بمفردها للزراعة مع إعالة حماتها الهرمة، قال بصوت خافت إنها تتحمل عناء كبيرا وقد تجد صعوبة بسبب مزاولة الزراعة لوحدها، وبحث معها شؤونها المنزلية بحنان، سائلة عن رأيها في إحضار ابنها من الجيش إلى البيت.

ذهلت المرأة أمام سؤاله فسارعت إلى القول إنه لا يمكننا مزاولة الزراعة باطمئنان البال بدون البلد، فلا يجوز التراجع في منتصف قتال الأوغاد الأمريكيين. إنها قادرة على مزاولة الزراعة بمفردها.

قال الرئيس راضيا عن مشاعرها التي تغلب شؤون البلاد على الشقاء الذاتي:

- سيعود ابنك مظفرا بالتأكيد. يجب عليك إعالة حماتك جيدا وتحقيق المواسم الزراعية الطيبة حتى يوم عودته.

وصلت السيارة أخيرا إلى مفترق الطرق أثناء تبادل الحديث معها.

فتح الرئيس باب السيارة وساعدها على النزول.

(ترى من هو ذلك الرجل المحمود؟ يبدو لي أنه ليس شخصا عاديا لأنه دعاني أنا امرأة ريفية إلى ركوب السيارة في منتصف الليل وسألني عن حياتي الاقتصادية المنزلية وحالة زراعتي واحدة بعد الأخرى وقال لي كلاما مشكورا، على الرغم من كثرة أعماله ...)

بقيت تتطلع مليا إلى ضوء السيارة فقط والتي تتوارى عن ناظريها.

«على كل حال ستعطيان بعض الشيء»

في أواخر آذار/ مارس عام ١٩٥٧، حين كان الرئيس كيم إيل سونغ يطلع على حالة الزراعة في محافظة هامكيونغ الجنوبية، تلقى تقريرا عن تحقيق المواسم الجيدة في تعاونية بونغهوا (آنذاك) بقضاء هونغواون في العام الماضي فما لبث أن توجه إليها من شدة السرور.

قابل الرئيس عجوزين وهما أكبر سنا في القرية وتبادل الحديث معهما دون تكلف.

سأل الرئيس أحدهما:

- متى انضممت إلى التعاونية، يا عجوز؟

- انضممت إليها عام ١٩٥٤.

- هل انضممت إليها بتحريض من فلان؟

- لا، عن طيب خاطري.

أعرب الرئيس عن الارتياح الكبير لجوابه، واستفسر بالتفصيل عن حصته الموزعة في العام الأول، وكمية الأرز والبطاطا منها، وحصته الموزعة في العام التالي.

أجابه العجوز باعتزاز أنه تلقى ٢٠ سوم لكل من الأرز والبطاطا في العام الأول، و٤١ سوم من الأرز و٤٠ سوم من البطاطا في العام التالي.

سأله الرئيس مجددا عن عدد الأيدي العاملة عنده وحالة معيشته.

كان في غاية السرور بعد أن سمع جوابه بأن عدد الأيدي العاملة اثنان، ويتمتع بالحياة الثرية.

ثم سأل الرئيس العجوز الواقف بجواره:

- كيف حياتك الاقتصادية، يا عجوز؟

بدوره أجاب العجوز الثاني مفعما بابتهاج غامر أنه تلقى ١٠ سوم لكل من الأرز والبطاطا في العام الأول، و٢٠ سوم لكل منهما في العام التالي، كما لو أنه لا يود أن يتخلف عن العجوز الأول .

هكذا، اطلع الرئيس من هذين العجوزين على تفاصيل حالة حياة أعضاء هذه التعاونية وعبر عن رضاه الكبير قائلا:

- إذن، تلقوها جميعا بضعفين.

لسماع كلامه هذا، ضحك جميع أعضاء التعاونية المجتمعين حوله تملأهم السعادة والحبور.

ابتسم الرئيس أيضا ابتسامة عريضة كما لو أن ضحكاتهم أزاحت عنه التعب المتراكم، وسأل العجوزين فجأة من جديد بلهجة جدية:

- هل تعطيان بعض الحبوب الفائضة إلى أبنائكما؟

- يا رئيس الوزراء، على الشباب تأمين الرزق بأنفسهم فلا داعي لإعطائهم ما كسبه العجائز.

ضحك الرئيس مقهقها لجوابهما الصريح وقال لهما وهو يجول بناظريه على الحضور:

- على كل حال ستعطيان بعض الشيء.

لقوله هذا، انفجرت الضحكات المدوية مجددا.

كانت تلك أصوات الضحكات السعيدة لأعضاء التعاونية الذين يفرحون ويمرحون بملء إرادتهم لازدهار حياتهم الاقتصادية على مر الأيام بفضل الرئيس كيم إيل سونغ.

تنبيه الرأي القديم

في أحد أيام حزيران/ يونيو عام ١٩٥٧، زار الرئيس كيم إيل سونغ تعاونية بايكوون الزراعية (آنذاك).

في ذلك الحين، كانت التعاونية تتعرض للمعوقات الكبيرة في الزراعة بسبب استمرار الجفاف الشديد منذ الربيع لدرجة أنها لم تغرس شتلات الأرز كما يجب حتى بحلول حزيران/ يونيو نتيجة جفاف المياه تماما في أحواض الماء أو البرك، إضافة إلى كثرة حقول الأرز المدرجة.

شعر الرئيس بألم فؤاده وهو يتأمل حقول الأرز المدرجة التي يأكلها الجفاف فقال:

- ينبغي مواصلة اتخاذ الإجراءات للحيلولة دون أضرار الجفاف. لا يجوز لنا التطلع إلى السماء فقط عند الجفاف، بل يجب علينا أن نعرف كيف نرى ما في باطن الأرض. يتعين التغلب على أضرار الجفاف عن طريق بناء السدود وحفر الآبار وأحواض الماء.

في ذلك العام، اجتازت التعاونية الجفاف القاسي بري حقول الأرز المدرجة من خلال حفر الآبار وأحواض الماء في الأماكن المتفرقة، حتى جنت محاصيل وافرة قل نظيرها في الأعوام الأخرى في المرزات والحقول.

ذات يوم في آب/ أغسطس عام ١٩٦٣، جاء الرئيس مجددا إلى التعاونية حيث سر غاية السرور قائلا «كم عانيتم كثيرا، أيها الرفاق. زراعة الأرز رائعة حقا» وهو ينظر إلى الجبال مورقة الأشجار وحقول

الأرز المدرجة التي تتماوج فيها سنابل الأرز.

ضحك الرئيس ضحكة عريضة مؤكدا أنه لا يجوز الثقة بالسماء فقط.

جالسا معا على ضلع حقل الأرز

ذات يوم من نيسان/ أبريل عام ١٩٥٨، وجد الرئيس كيم إيل سونغ جرارة معطلة على طريق توجيهاته الميدانية.

اقترب منها وضغط الجنازير بيده وفتح باب قمرة السائق ثم سأل باتجاه تحت الجرارة:

- سلمت يداك. هل حدث خلل كبير؟

- بسبب انفلات البرغي الواحد.

- خلل بسيط!

توقف السائق عن العمل وألقى نظرة إلى الخارج وهو مستلق تحت الجرارة.

في تلك اللحظة، سيطر عليه الارتباك والحيرة لشدة الصدمة.

طلب الرئيس منه مبتسما بلطف أن يكمل العمل دون عجلة.

حين رآه يخرج من تحت الجرارة، سحب ذراعه داعيا إياه إلى الخروج سالما كيلا يلامس جسمه قطعة من الحديد.

سأله الرئيس بحنان عما إذا لم يكن العمل صعبا ونصحه بنبرة ودودة قائلا «إن إهمال الأشياء ولو تافها قد يتسبب في خلل كبير. لا تتحرك الجرارة بكاملها بسبب البرغي الواحد، أ ليس كذلك؟».

أشار إلى ضرورة تطبيع صيانة الجرارة جيدا من الآن وصاعدا، ثم

مشى إلى وسط الحقول مجتازا الأثلام المحروثة.

جال ببصره على حقول الأرز المحروثة لتكون لامعة وقال «أحسنت. يا لها من مكننة رائعة!».

سر الرئيس أيما سرور وهو يجرب القبض على تربة الحقل لارتياحه الكبير بأن الفلاحين أصبح بوسعهم حراثة حقول الأرز بالآلات دون جهد كبير.

رجع الرئيس إلى حيث الجرارة وقطع الأعشاب الجافة على ضلع حقل الأرز.

وبسطها على الضلع وجذب السائق من ذراعه وأجلسه بجانبه دون تكلف وهو يقول «هيا بنا نجلس هنا لنتبادل الحديث».

سأله الرئيس عن مسقط رأسه ووالديه ووقت بدئه بقيادة الجرارة.

بعد سمع جوابه بأن يانغدوك هي مسقط رأسه وعاش مع أبيه بعد فقدان أمه مبكرا وأصبح سائقا للجرارة عقب تخرجه من مركز تأهيل سائقي الجرارة ولم يمض على قيادة الجرارة غير عدة أشهر، أثنى عليه قائلا إنه أحسن جدا في حراثة الحقول رغم أنه غر في خبرة القيادة.

هندم الرئيس ياقة لباس عمله وأغلق زره سائلا «هل لبست الملابس الداخلية الكافية؟».

وطلب منه أن يأخذ الحذر لئلا يصاب بالزكام وغسل الملابس في حينه والاستحمام من حين لآخر، داعيا إياه إلى العمل بتمام الصحة والعافية.

قال الرئيس إن الآلة لا تتعرض للعطب عند فحصها وصيانتها دوريا فالأمر نفسه ينطبق على الإنسان.

نهض الرئيس ببطء وأمسك بيد السائق بلطف قائلا «أنصرف الآن، وآمل بأنك ستبذل جهودا أكبر».

انبرى السائق يحرث الحقول ممسكا بمقود الجرارة بقوة واضعا نصب عينيه الغاية السامية للرئيس الذي يسعى لتحرير الفلاحين من العمل المضني، أولئك الذين تقوست ظهورهم بالعمل الشاق جيلا بعد جيل.

هؤلاء بالذات دكاترة

عند الغروب في أحد أيام أوائل شباط/ فبراير عام ١٩٥٩، كان شاب ريفي بسيط يعمل كراعي الأرانب في إحدى التعاونيات الزراعية في قضاء كيم تشايك آنذاك، يصعد الأدراج في مقر اللجنة المركزية للحزب بصحبة أحد الكوادر.

أمسك الرئيس بدفء بيدي الشاب الذي يحييه بانحناءة الرأس وقدمه بنفسه إلى الكوادر الواقفين إلى جانبه.

دعا راعي الأرانب الشاب إلى الجلوس بجانبه بجذبه من اليد وسأله بالتفاصيل عن صحته وحالة معيشته، ثم طلب منه أن يتحدث عن خبرته المكتسبة في سياق تربية الأرانب قائلا إن جميع أعضاء هيئة رئاسة اللجنة المركزية للحزب حضروا إلى هنا للاستماع إليه.

دهش الشاب في سره فلم يستطع أن يفتح فمه فورا على الرغم من أنه قام من مقعده.

طلب الرئيس منه مرارا وعلى محياه ابتسامة حنونة أن يتحدث عن كل الأعمال التي قام بها حتى الآن دون تكلف.

راح الشاب يتحدث بالتفصيل عن أعماله الماضية مثل زيادة عدد الأرانب إلى ٤٢٦ رأسا لحد الآن عن طريق إجادة النزاء والاعتناء

بالأرانب الصغار بصورة علمية بعد اختيار عشرة من الأرانب الولود من سلالة ممتازة، وحقيقة الوقاية من أمراض الأرانب بالاستفادة من النباتات الطبية الجبلية، والخبرة في تربية عدد كبير من الأرانب مقابل قليل من الأيدي العاملة عن طريق رعيها.

أومأ الرئيس دائما برأسه متفهما أثناء سماع كلامه، ولهج حينا بالثناء على عمله، وكتب شيئا ما في مفكرته حينا آخر وهو يستمع بانتباه إلى قصته البسيطة.

على الأخص، حين تحدث الشاب عن معلومات التجارب التي أجراها بالقوة الذاتية من أجل رفع نسبة توليد الأرانب وحقيقة إنشاء المرعى على التل لحل مسألة الأعلاف، قدر الرئيس جهوده تقديرا عاليا قائلا إننا نستطيع أن نعرف جيدا كم كان يسعى جاهدا لتربية عدد أكبر من الأرانب ولو واحدا منها.

خاطب الشاب الرئيس قائلا:

- أعتقد أن الأرنب ليس حيوانا أليفا من الصعب تربيته مطلقا. أصبحت واثقا بأننا قادرون على رفع نسبة توليد الأرانب بالقدر المطلوب وتبديل الأعشاب باللحوم، إذا أقبلنا على العمل بالعزيمة واضعين نصب أعيننا تعليمات الزعيم العظيم الخاصة بتربية الأرانب على نطاق واسع.

قال الرئيس للكوادر:

- الدكتور موجود في الريف، لا في مكان آخر. هؤلاء بالذات دكاترة. أرى من المستحسن نشر كلمة هذا الرفيق في الصحف والمجلات والكتب على نطاق واسع.

ومن بعد، نشر الشاب خبرته المكتسبة في تربية الأرانب متجولا في شتى أرجاء البلاد.

اقتنع الرئيس مجددا من خلال الحديث البسيط للشاب الريفي العادي بأن تربية الأرانب على هيئة حركة جماهيرية شاملة هي أمر عادل، ووضع خطة لجعل هذه الشرارة الصغيرة تشتعل كلهيب في كل أنحاء البلاد.

أول خطوة متروكة على أراضي المد

ذات يوم من حزيران/ يونيو عام ١٩٦٠، جاء الرئيس كيم إيل سونغ إلى إحدى الأراضي المغمورة بالمد للاطلاع على سيرورة استصلاحها.

خطا الرئيس بضع خطوات باتجاه السهل من أراضي المد المترامية الأطراف وتأمله لبعض الوقت.

واقترح الرئيس على مرافقيه أن يدخلوا مباشرة إلى سهل أراضي المد غير المطروقة، ثم نقل خطواته إليه.

لم يستطع مرافقوه السيطرة على الحيرة والارتباك، لأنه لم يكن آنذاك طريق سليم مؤد إلى هذا السهل من مكان وقوفه، كما كان السهل برمته مغطى بالطمي، ما عدا أكثر من ١٠ هكتارات من حقول الأرز المستصلحة.

نقل الرئيس خطواته إلى حقول الأرز المستصلحة ليقصد الأرض الموحلة وهو يقول:

- لنتقدم إلى الأمام بعض الشيء.

مانعه مرافقوه قائلين:

- أيها الزعيم، لا يمكنكم السير إلى الأمام أبعد من هنا. لا يوجد

طريـق مـن هنـا.

إلا أنه خطا خطواته الواسعة نحو الأرض الموحلة قائلا:

- لنتقدم أبعد من هنا. عما نتردد في العمل لمصلحة الشعب؟ فلنشق أول طريق في أراضي المد هذه، إذا لم يكن هناك الطريق.

قطع الرئيس مزيدا من المسافة صوب البحر وعلى وجهه إمارات الحبور غير عابئ بالحمأة العميقة والقصب الذي يعترض سبيله.

هكذا، مشى لمسافة مئات الأمتار في الأرض الموحلة حتى وصل إلى مكان حيث يمتد سهل أراضي المد التي لا يحدها البصر وجال بنظره على السهل لبعض الوقت، ثم قال لمرافقيه:

- يا له من سهل رائع. آفاقه واعدة. من الضروري إنشاء مزرعة حكومية هنا. قد يصعب غرس شتلات الأرز فينبغي استحداث المزرعة الحكومية التي تعمل على زراعة الأرز عن طريق بذر بذوره مباشرة في الحقول.

أشار إلى ضرورة استصلاح أراضي المد بعد سد البحر الشاسع وبناء البيوت السكنية الحضارية الجذابة على التلال المحاذية للبحر، قائلا «يتعين جعل العمال يقومون باستصلاح أراضي المد بإنشاء مؤسسة متخصصة باستصلاحها، لا بالأيدي العاملة من الفلاحين».

لذا، انبثقت المزرعة المتكاملة إلى حيز الوجود على أراضي المد التي خطا الرئيس خطوته الأولى وهو يشق الطريق عليها.

الحصص الموزعة لأعضاء التعاونية

ذات يوم من أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦٠، زار الرئيس كيم إيل سونغ قرية تشونغسان التي تتماوج فيها شتى أنواع الحبوب وتثمر مختلف الفواكه.

صافح الرئيس أعضاء التعاونية واحدا تلو الآخر قائلا:

- أيها الرفاق، سلمت أيديكم.

رنا بعين جذلة إلى الحقول التي تتماوج فيها سنابل الأرز الذهبية بفعل الرياح الخريفية، وقال «أجيدت تسوية الأراضي وزراعة الأرز حقا على حد سواء».

طلب الرئيس من كادر التعاونية أن يتحدث عن حالة الزراعة هذا العام.

أخبره كادر التعاونية عن تجاوز خطة إنتاج الحبوب لهذا العام وأرقام الحصص السنوية المتوقعة المزمع توزيعها.

أعرب الرئيس باسما عن رضاه الفائق وهو يقول:

- حسنا. أصبح الجميع فلاحين متوسطين في الغنى في الفترة الماضية.

تابع يسأله عن كمية الغذاء المتبقي التي تكفي الفلاحين لمدة عام واحد.

- يبدو لي أن ٢٥٠ إلى ٣٠٠ كغ يكفي كل فرد منهم.

- أ لا تنقصهم هذه الكمية؟

غرق الرئيس في التفكير لبرهات، وقال:

- سيكفي كل فرد حوالي ٤٠٠ كغ، في رأيي. يرغب الأطفال في

أكل المزيد من الأرز المسلوق. كما من عادة الكوري أن يتناول الغداء مع والد صهره مقابل بيع الحبوب عند لقائه به في السوق. وليس هذا فحسب، بل يمكن أن يأتي البيت الضيوف والابن العامل في المصنع والأبناء المسرحون، فضلا عن الأولاد الذين غادروا البيت للدراسة والابنة المتزوجة.

أردف قائلا وهو يدور بعينيه على أعضاء التعاونية:

- من الجيد أن يرى الأبناء وفرة من الأرز أثناء قدومهم إلى البيت وإلا، لا يعملون مطمئني البال ولا يدرسون جيدا عندما يجدون أن البيت يعاني من نقص الأرز. ...

نتيجة لذلك، أصبح أعضاء التعاونية يتلقون الحصص الموزعة، بجمع حصة الابن الذي سيسرح من الجيش وحصة الابنة المتزوجة التي ستزور بيت والديها وحصة ضيافة والد الصهر.

«كلما أزور هنا قضاء موندوك ينزل الثلج»

ذات يوم من كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٦١، راحت الثلوج تتساقط بكثافة منذ الصباح ولم تنقطع حتى بعد الظهر.

في ذلك اليوم، زار الرئيس كيم إيل سونغ إحدى فرق العمل من تعاونية ريبسوك الزراعية (آنذاك) بقضاء موندوك وهو يشق الطريق المتجمدة غير المطروقة.

دخل إلى فناء قاعة الدعاية الديمقراطية وقال تقديرا لها «قاعة الدعاية الديمقراطية رائعة جدا».

بعد أن دخل القاعة، دعا أعضاء التعاونية أولا إلى الجلوس قائلا «تفضلوا بالجلوس، اجلسوا جميعا».

تحلق أعضاء التعاونية حول الرئيس كأفراد أسرة واحدة في قاعة الدعاية الديمقراطية.

جس الرئيس أرضية القاعة بيده قائلا «هل تكون الجهة العليا من الأرضية أيضا دافئة؟ تعالوا إلى هنا لأن الجهة العليا من الأرضية باردة» وجلس على الأرضية دون حصيرة بعد تنحيتها إلى الجانب.

سألهم بالتفاصيل عن الأعمال الزراعية وحالة الحياة الاقتصادية للتعاونية مثل نوع المزروعات في الحقول وغلة الحبوب في كل هكتار وكمية الحصة الموزعة لكل أسرة.

قال الرئيس الذي كان ينظر من النافذة إلى الخارج الذي ينزل الثلج بغزارة وهو يستمع إلى أجوبتهم:

- كلما أزور هنا قضاء مونـدوك ينـزل الثلـج. حيـن جئـت أيضـا إلـى قريـة سـانغبال فـي المـرة الماضيـة، أثلجـت السـماء. شـهد ذلـك العـام محصـولا وافـرا. لا شـك أن العـام القـادم أيضـا سيشـهد حصـادا وافـرا.

ثـم، اطلـع علـى عـدد الجـرارات العاملـة فـي التعاونيـة وحالـة اسـتخدامها وأشـار بدقـة إلـى أسـلوب إدارة وتشـغيل الجـرارات وطريقـة عملهـا وحتـى الحيـاة التنظيميـة لسـائقيها.

استفسـر عـن عـدد البيـوت الحضاريـة المبنيـة حديثـا وعيش جميـع الفلاحين فـي البيـوت المسـقوفة بالقرميـد، وسـر أيمـا سـرور لسـماع قولهـم إنهـم أصبحـوا يسـكنون فـي البيـوت الحضاريـة الجذابـة بـدلا مـن البيـوت المسـقوفة بالقـش، الموروثـة عـن الأجـداد.

فـي ذلـك اليـوم، حـل المسـائل العالقـة فـي إدارة التعاونيـة واحـدة تلـو الأخـرى لعـدة سـاعات قبـل أن يغـادر التعاونيـة.

كانت الدنيا نيرة بسبب الثلوج المتراكمة على الرغم من تقدم الليل.

بقـي أعضـاء التعاونيـة يقفـون لوقـت طويـل ملوحيـن بأيديهـم لتوديـع الرئيـس حتـى تتـوارى سـيارته عـن الأنظـار وهـي تنفـث رقائـق الثلـوج.

نموذج الثوري الريفي

زار الرئيس كيم إيل سونغ ريم كون سانغ، رئيس مجلس إدارة المزرعة التعاونية في قرية أوكدو مرات عديدة كل عام لبحث الشؤون الزراعية معه وفي هذا السياق، قاده إلى أن يصبح فلاحا نموذجيا ورئيسا لمجلس إدارة التعاونية يتحمل المسؤولية عن حياتها الاقتصادية وبطلا جديرا للعمل في البلاد ونائبا لمجلس الشعب الأعلى.

كان سباقا في زيادة إنتاج الحبوب الغذائية في زمن الحرب باختراع بذارة القمح بين مسافة واسعة، كما كان أول من شكل التعاونية بعد الحرب وفاء لخطة الحزب لنشر التعاون الزراعي.

هذا وبذل الكثير من العرق في مشروع شق قنوات المياه بطول ٢٠ كيلومترا لجر المياه الواهبة للحياة من نظام كيانغ للري حتى أنهى المشروع أخيرا في ظرف ستة أشهر، وقام ببناء المساكن الأنيقة الجديدة عند سفح الجبل بدل هدم البيوت المنتشرة في وسط الحقول، وترتيب الحقول حيث أكوام من الحجارة، الموروثة منذ زمن بعيد ليحل مكانها أكثر من مائة هكتار من حقول الأرز.

علاوة على ذلك، سعى جاهدا لإنشاء الحظائر المشتركة لتربية مئات الخنازير ورعي الغنم أيضا بطريقة متنقلة، وفاء لتعليمات الرئيس الخاصة بضرورة تطوير تربية المواشي لأن قرية أوكدو محاطة بالجبال.

هكذا، كان فلاحا حقيقيا يحمل دائما الرفش أو المعزقة في حزامه مشمرا عن ساقيه.

في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦٥، طلب الرئيس كيم إيل سونغ من السائق إيقاف السيارة أمام حقول الذرة في قرية أوكدو وهو على طريق توجيهاته الميدانية.

بعد أن تلقى الرئيس تحية من ريم كون سانغ الذي كان في انتظاره على جانب الطريق، سأله بلطف كيف صحته وكيف حاله قائلا إنه سمع أنه أصيب بالمرض.

أكد الرئيس لمرافقيه أننا يجب أن نثمن مثل هؤلاء الرفاق الأوفياء للحزب، وشجع رئيس مجلس الإدارة على أن يكون فعالا في علاج المرض أيضا.

ذات يوم من كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٦٧، زار الرئيس قرية أوكدو مرة أخرى حيث صافح بحنان رئيس مجلس الإدارة الذي يسلم عليه باحترام وهو يقول بنبرة تنم عن القلق «يا رفيق كون سانغ، سمعت أنك كنت مريضا، هل شفيت بعض الشيء؟».

أجابه بصوت مخنوق:

- لا بأس.

عاد الرئيس يسأله بقلب الأب المحب.

- لماذا تشكو من المرض أحيانا؟

أجابه ريم كون سانغ بصوت خافت ومتهدج لشدة التأثر:

- الآن لا بأس.

سأله الرئيس فجأة عن عمره.

أجابه بأنه في الخامسة والخمسين من عمره.

رمق الرئيس وجهه العليل وطمأنه قائلا «ما زال لا بأس بك.»

ثم، قال لمرافقيه «هذا الرفيق عانى المشقات في فترة الحرب».

حين زار الرئيس قرية أوكدو في كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٦٨، أمسك بيديه بلطف لبرهات قائلا «كيف حالك، يا رفيق رئيس مجلس الإدارة؟».

سأل الرئيس مشيدا به وهو يقول «سمعت أنك أحسنت الزراعة هذا العام أيضا. ما هي نتائجها؟».

بعد أن استفسر الرئيس منه عن غلة الحبوب، عبر عن رضاه قائلا «هذا رقم قياسي».

كان ريم كون سانغ كادرا ريفيا مستقيما ومخلصا يكرس نفسه دون تردد لتنفيذ تعليمات الرئيس كيم إيل سونغ.

إلا أنه نقل للأسف إلى المستشفى أثناء عمله ليل نهار.

أرسل الرئيس إليه الأطباء الأكفاء والأدوية الغالية وأوصاهم بشفائه مهما كلف الأمر.

حين تلقى نبأ حزينا بأنه فارق الدنيا أخيرا، قال بصوت أجش إننا فقدنا رفيقا قيما حقا.

ذات عام، أوقف الرئيس السيارة عند المرور بقرية أوكدو وجال بناظريه على أراضي قرية أوكدو.

قال إنه كلما يتأمل أراضي قرية أوكدو، تسيل الدموع من عينيه وهو يفكر في الرفيق كون سانغ، وذكر أنه ولد في أسرة خادم للإقطاعي من ثلاثة أجيال قبل تحرر البلاد وقدم الغالي والثمين لتنفيذ سياسة حزبنا الزراعية بعد تحررها.

أضاف أنه تبادل الحديث معه من حين لآخر بشأن الزراعة، وكان الرفيق ريم كون سانغ ابنا حقيقيا للحزب ونموذجا للثوري الريفي لم يسترح من العمل طوال حياته متخذا دعوته إلى تحويل قرية أوكدو

إلى «جنة على الأرض» عقيدة له.

هكذا، عمل الرئيس على ترسيخ القاعدة الريفية وحقق الخطة البعيدة المدى لبناء الريف الاشتراكي بصورة رائعة، على أساس العلاقات العميقة التي أقامها مع عدد كبير من الفلاحين الأبطال للبلاد مثل ريم كون سانغ.

«أيها الرفاق، سأساعدكم فكونوا أغنياء حتما»

ذات يوم من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧١، زار الرئيس كيم إيل سونغ قرية تشونسو بقضاء هيانغسان.

كان معظم الأراضي الزراعية في هذه المنطقة مؤلفة من الحقول المنحدرة أو قطع صغيرة من حقول الأرز لدرجة أن القدماء قالوا إن الحصيرة الواحدة من القش كافية لتغطية ثلاث قطع من حقول الأرز.

أمر الرئيس بإيقاف السيارة على جانب الطريق ودخل حقل الخضار حيث اقتلع فجلا ليخمن وزنه، ثم، استدعى مزارعا يعمل في الحقل.

أمسك الرئيس بدفء بيده الملطخة بالتراب وسأله عما إذا كان هذا الفجل يزرع كمحصول لاحق للذرة وينمو جيدا حين يبلغ هذا الحجم.

أجابه المزارع أن الفجل نما جيدا إذا كان بهذا الحجم، نظرا لقحل أراضي هذه المنطقة.

استفسر منه عن غلة الحبوب في كل هكتار والحصة الموزعة لكل أسرة في العام الماضي.

تبين له أنهما منخفضتان.

سأله الرئيس:

- أ ليست الحياة معسرة؟

أجابه المزارع أنه أصبح يعيش برخاء دون أن يشتهي ما لدى الإقطاعي في القرية الجبلية قبل التحرر.

على الرغم من أنه سمع جوابه الصريح، فهو نقل خطواته إلى القرية دون أن يشعر براحة البال.

بعد قليل، اجتمع المزارعون حول الرئيس كيم إيل سونغ.

سأل الرئيس وهو يجول ببصره على الحضور:

- بأي طريقة يمكن للفلاحين أن يصبحوا أغنياء؟

لم يرد أحد على سؤاله.

سأل الرئيس باسما عن رأيهم في مزاولة كل الأعمال الزراعية بالآلات.

وقال إن أفراد طبقتنا العاملة أنتجوا حديثا الجرارة من طراز «زونزين» والشاحنة الصغيرة «كاينغساينغ»، وهذه الجرارة أصلح من الثور لأنها تتمكن من دخول جميع الحقول الصغيرة وحراثتها، أما الشاحنة الصغيرة «كاينغساينغ» فهي أيضا قادرة على قطع درب الكارات بسهولة.

هب أحد رؤساء فرق العمل واقفا وأخبر الرئيس بعزيمته على القيام بكل الأعمال الزراعية بواسطة الآلات دون استخدام ما لدى فريق عمله من ١٢ عربة تجرها الثيران على الإطلاق، إذا كانت لديه جرارة واحدة من طراز «زونزين» وشاحنة صغيرة واحدة «كاينغساينغ».

اقترح الرئيس:

- إذن، لنقدم شاحنة كاينغساينغ لهذا الرفيق أولا وقبل غيره.

تابع يقول إنهم يتمكنون من إنتاج المزيد من اللحوم عندما لا يستخدمون الثيران بمكننة الأعمال الزراعية فيما بعد وإن تحقيق المكننة يعود عليهم بالفوائد بذلك القدر.

مشاطرة الفلاحين السرور

في أواخر تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٧٣، زار الرئيس كيم إيل سونغ مزرعة يونكوك التعاونية (آنذاك) بقضاء دايدونغ.

كانت المزرعة تركز كل جهودها على حملة نقل حزم الأرز إلى البيادر ودرسه يملأها السرور لجني المحاصيل الوافرة.

اطلع على كمية إنتاج الحبوب في إحدى جماعات العمل وهو يرد على هتافات المزارعين الترحيبية ملوحا بيده.

لما سمع الرئيس تقرير رئيس جماعة العمل عن حالة إنتاج الحبوب، كان في غاية السرور وهو يثني عليه قائلا «أحسنت».

أشاد الرئيس به مرارا لإجادته الزراعة واطلع بالتفصيل على مدى تأثير السماد في نمو الأرز سائلا عن كمية الأسمدة المنثورة وحالة سقوط سيقان الأرز ونوعية الحقول حيث وقعت سيقان الأرز على الأرض وغيرها.

أجابه رئيس جماعة العمل بوجود بعض من الحقول حيث سقطت سيقان الأرز. فسأله الرئيس عن رأيه في ذلك.

رآه الرئيس يتردد دون جواب عن سؤاله، ونبهه قائلا «...عليك أن تعرف أن سيقان الأرز سقطت لكثرة السماد الآزوتي».

راح الليل يرخي أخيرا سدوله في الريف الثري مع غروب الشمس.

تأمل الرئيس مشهد درس الفلاحين، ثم طالب بإحضارهم جميعا داعيا إلى جعلهم يواصلون العمل بعد شيء من الاستراحة.

هرع المزارعون إليه ووجهوا التحية له باحترام.

جال الرئيس بنظرته الحنونة عليهم قائلا «أي نوع من البضائع تطلبونها عند بيع الأرز؟ هيا قولوا دون استثناء.»

تهافت المزارعون دون تكلف على إخباره بكل ما يحتاجونه من القدر الكبيرة والممطر والجزمة وآلة الخياطة وخزانة الثياب ونحوها.

قال الرئيس للياور أن يسجل البضائع التي يطلبها الفلاحون بلا استثناء.

كما التفت إلى إحدى المزارعات وطلب منها الحديث عن البضائع المطلوبة.

بعد أن ترددت المزارعة لبرهات، قالت له إنها تحتاج إلى لباس نيلون وبذلة تيترون، ثم أطرقت رأسها خجلا.

ابتسم الرئيس بحنان وهو يقول بقلب الأب الحقيقي:

- شهد هذا العام مواسم زراعية جيدة فمن المطلوب تفصيل طقم لباس.

اعتنى الرئيس بكل أركان حياة الفلاحين وهو يسأل مشيرا إلى ساعة يده «أ لا حاجة إلى ساعة اليد؟ هل يبيع القضاء أوراق الجدران والأرضية وأمثالها؟ هل توفرت الظروف الكفيلة بالعيش مع الحفاظ على نظافة البيوت الحضارية الريفية؟ ...».

آنذاك، قال أحد المزارعين له إنهم سيردون على فضائله بمزاولة الزراعة على أفضل وجه في العام المقبل.

كان هذا قسما فولاذيا لجميع المزارعين، لا لذلك المزارع وحده.

جر الجرارة بالسيارة

ذات يوم من أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٧٣، كانت الجرارة من طراز «زونزين» المحملة بحزم الأرز بكاملها تدخل الطريق العام أمام إحدى المزارع بقضاء كايتشون.

فوجئت سائقة الجرارة بمشاهدة عدد من السيارات الجارية من بعيد عبر منعطفات الجبل من جهة آنزو، فتساءلت في نفسها (ترى ما تلك السيارات؟).

أوقفت السائقة الجرارة على أقصى اليمين وهي بانتظار مرور السيارات.

ولكن يا للمفاجأة، فتح باب السيارة وترجل منها الرئيس كيم إيل سونغ.

هتفت السائقة «أيها المارشال الأب!» ونزلت من الجرارة وهرولت إليه دفعة واحدة.

أمسك الرئيس بدفء بيديها الملطختين بالزيت قائلا إن الشابة اليافعة تتحمل العناء الكبير واقترح عليها عرض الجرارة عليه.

أوقف الرئيس خطواته أمام الجرارة وراح يعاين أركانها مثل المحرك والمقود وآلية نقل الحركة، ثم سألها بصوت حنون عن كمية حزم الأرز المحمولة في الجرارة من طراز «زونزين».

بعد أن سمع جوابها بأن حمولتها تبلغ ٧٠٠ كغ، سألها عما إذا كانت هذه الحمولة مناسبة، وعما إذا لم تكن قادرة على أن تحمل حوالي طن واحد، فضلا عن عدد نقلها اليومي.

أجابتـه السـائقة بأنهـا تنقلهـا ١٥ مـرة يوميـا كمـا لـو أنهـا بنـت واقفـة أمـام الأب.

قـام الرئيـس بالحسـاب العقلـي للحظـات وأعـرب عـن سـروره البالـغ قائـلا «١٥ مـرة فـي اليـوم الواحـد تسـاوي نقـل ١٠,٥ طـن».

سألها الرئيس عما إذا لم تشعر بألم ذراعيها.

ردت السائقة:

- لا بأس. لا أشعر بالصعوبة.

بيـد أن الرئيـس لـم يجـد إلـى الاطمئنـان سـبيلا فقـد طلـب منهـا أن تريـه ذراعهـا.

أخفـت السـائقة يديهـا بسـرعة خلـف ظهرهـا لخجلهـا مـن عـرض تينـك الملطختيـن بالزيـت.

قـال الرئيـس باسـما بلطـف «لا بـأس عليـك. دعينـي أرى ذراعـك»، ثـم تلمـس راحـة يدهـا ومسـد ظهرهـا حينـا وخمـن سـمك معصـم يدهـا حينـا آخـر بعـد رفـع كـم لبـاس عملهـا.

هـذا واستفسـر منهـا عـن الطعـام المطبـوخ والمأكـولات الثانويـة التـي تتناولهـا، ونصحهـا بحنـان بـأن تأخـذ راحـة كافيـة وتـأكل الطعـام فـي حينـه دون أن تفـرط فـي إجهـاد نفسـها فـي العمـل.

كمـا أوصـى الكـوادر بتوفيـر المعطـف المبطـن بالقطـن السـميك والقبعـة والحـذاء والقفـاز الجيـدة لهـا تحسـبا للشـتاء البـارد.

دعاهـا الرئيـس إلـى قيـادة الجـرارة إلـى هنـاك مشـيرا إلـى جهـة آنـزو، وطلـب مـن الكـوادر الواقفيـن حولـه وهـو يجـول ببصـره عليهـم أن ينقلـوا السـيارات إلـى أقصـى الطريـق.

سـرعان مـا انتقلـت السـيارات إلـى أقصـى الطريـق فلـم تبـق إلا

الجـرارة علـى قارعـة الطريـق.

شجع الرئيس السائقة على الانطلاق بالجرارة وهو يربت على ظهرها.

ولكـن، حيـن همـت بالقبـض علـى المقـود، شـعرت بقلبهـا ينهـار لشـدة الدهشـة متسـائلة فـي نفسـها (يـاه، مـاذا علـي أن أفعـل ؟!)

كانـت تحتـاج إلـى محـرك الإقـلاع الكهربائـي لتشـغيل الجـرارة مجـددا، ولكنهـا بـدأت بالعمـل مـن دونهـا لنقـل المزيـد مـن حـزم الأرز ولـو واحـدة منهـا بعـد أن تركتهـا لجماعـة الإصـلاح فـي الصبـاح بسـبب خللهـا للأسـف.

أحسـت السـائقة بـكل أطـراف جسـمها تلتهـب كالجـذوة وشـعرت بضيـق الصـدر حيـن تفكـر فـي أنهـا ستسـبب لـه القلـق بـدل أن تعـرض علـى الرئيـس الجـرارة الجاريـة بسـرعة.

أخبرتـه السـائقة بصـوت خافـت دون مواربـة بحقيقـة تـرك محـرك الإقـلاع الكهربائـي للإصـلاح.

قال الرئيس:

- يا لها من مشكلة جدية.

أمـر الرئيـس، مشـيرا إلـى السـيارة، بتشـغيل محـرك الجـرارة عـن طريـق شـد الحبـل إليهـا لتجرهـا السـيارة.

تساءلت السائقة في نفسها (يا للعجب، أمر بجر الجرارة بالسيارة !؟).

بعـد برهـات، راحـت السـيارة تجـر الجـرارة حتـى دار محركهـا فـورا وقادتهـا السـائقة الشـابة بـكل ثقـة.

تطلع الرئيس إلى الجرارة الجارية بصورة ديناميكية وقال:

- قالـت الشـابة اليافعـة إنهـا نقلـت حـزم الأرز ١٥ مـرة فـي اليـوم وهـي رائعـة حقـا، أليـس كذلـك؟ هـذا أمـر جديـر بالثنـاء الفائـق.

ارتسمت على وجه الرئيس ابتسامة راضية لغاية سروره لأن فلاحينا أصبحوا الآن يزاولون الزراعة دون أن يحملوا الأحمال على ظهورهم علما بأن حتى الشابة قصيرة الشعر قادرة على التعامل مع الجرارة.

صاحب العمل في بناء قرية أوغوك

ذات يوم من أيار/ مايو عام ١٩٧٤، أمر الرئيس كيم إيل سونغ بإيقاف السيارة أثناء مروره بقرية أوغوك.

قال الرئيس بنبرة تنم عن القلق وهو يتأمل المنظر العام للقرية إن كثرة البيوت المسقوفة بالقش حالت دون تسوية الأراضي وتحويل الطريق بدرجة كبيرة وترتيب مجاري النهر، وسأل كادر القرية:

- ألا تقومون ببناء البيوت لانعدام الطوب أو الأخشاب؟ وإلا، ألا يوجد فريق البناء الريفي؟

ثم أكد الرئيس مجددا «ينبغي بناء البيوت الجديدة في قرية أوغوك».

في اليوم التالي، دعا الرئيس إلى عقد الاجتماع التشاوري في منطقة سينتشون حيث ناقش مسألة بناء البيوت الثقافية في قرية أوغوك.

اقترح على أحد كوادر القرية بناء قرية أوغوك على نحو عصري، بهدف بناء ألف بيت، قائلا إنه سيوفر له كل ما يلزمه من المواد والآلات للبناء ووسائل النقل وغيرها.

كما اتخذ الإجراءات المفصلة لنقل مواد البناء بواسطة السكك الحديدية وطريق السفن في نهر زايريونغ، وسأله:

- من سيتحمل المسؤولية عن بناء قرية أوغوك؟

قال أحد كوادر القضاء للرئيس إنه لا يوجد سوى فريق البناء الريفي.

أكد الرئيس أن أحدا يجب أن يتحمل المسؤولية عن عملية البناء مهما كلف الأمر، قائلا «قم ببناء حاضرة القضاء في النهاية. يتعين إجراء البناء بعد إزالة الأكواخ أولا . لنر الأمر بعد تشييد ألف منزل في قرية أوغوك على كل حال. ... عندئذ فقط، سيفرح الفلاحون.»

دعا إلى تسمية فريق البناء بفريق بناء قرية أوغوك، وإنهاء عملية البناء حتما خلال عام واحد بعد إطلاقه من الآن، وقال:

- أود أن أكون صاحب العمل في بناء قرية أوغوك.

في تلك اللحظة، ساد المكان تأثر كبير.

كان قول الرئيس لتوليه عملية بناء قرية ريفية بسيطة تبعد عن العاصمة، تلخص بإيجاز حبه الحار للفلاحين الذين عاشوا في الماضي تحت وطأة الفقر والجهل والاحتقار والإهانة ووسط الزفرات والدموع.

تحقيق الرغبة

في أحد أيام أيار/ مايو عام ١٩٧٤، زار الرئيس كيم إيل سونغ مزرعة سونغسين التعاونية (آنذاك) لمعاينة العمل التجريبي لغراسات شتلات الأرز المصنوعة حديثا.

فيما يتطلع الرئيس إلى غراسات شتلات الأرز التي تصطف جنبا إلى جنب على طريق الحقل، سأل المهندس الزراعي للمزرعة عما إذا لم تنغرس الآلة في حقل الأرز أثناء غرس الشتلات.

أجابه المهندس، مشيرا إلى الحقل الذي تحول إلى حقل قياسي، بأن الآلة لا تنغرس في ذلك الحقل بسبب مرور ٥ أيام على سلفه.

قال الرئيس:

- ينبغي سلف الحقول قبل نحو ٥ أيام لترسب الطمي كيلا تنغرس آلة غرس شتلات الأرز. إذا جرى غرس شتلات الأرز قبل تسرب الطمي، لا تنغرس الآلة فحسب، بل لا يمكن غرس شتلات الأرز جيدا.

تابع يقول إن آلة غرس شتلات الأرز تعمل في المياه الموحلة، فلا جدوى منها مهما بدا شكلها جميلا، إذا كانت مقصرة في غرسها وتصاب بالعطب.

شاهد الرئيس ملامح عمل أكثر من ١٠ غراسات دون استثناء متنقلا على الحقول لوقت طويل وهو يعطي توجيها دقيقا لإكمالها على أفضل وجه.

حينا كان يخمن سرعة الآلة وهو يتطلع إلى ساعة اليد وأشار حينا

آخر إلى طريقة عمل الآلة لتغرس شتلات الأرز حتى في كل حافات الحقول، ثم أوضح عدد الشتلات العلمي والعقلاني في الغرسة الواحدة وهو يعد بنفسه عددها بعد مطالبته باقتلاع كل من شتلات الأرز التي غرستها أكثر من ١٠ آلات.

في ذلك اليوم، استدعى الرئيس سائق غراسة شتلات الأرز وملقمتيها ليستفسر عن آرائهم، واتخذ إجراءات فورية لتزويد سائقيها وغيرهم ممن يغرسون شتلات الأرز بالنظارات السوداء.

فيما هو يتأمل لبعض الوقت الحقول التي تتحول إلى بساط سندسي أخضر بنظرات تنم عن التأثر العميق، قال:

- ظللت أسعى جاهدا لتحرير الفلاحين من العمل الشاق طوال حياتي، فأصبحت تلك الأمنية تتحقق أخيرا اليوم.

في الماضي، لم أستطع النوم مطمئنا وأنا أفترش الغبراء وآكل في العراء أثناء قتالي في الجبال ضد الإمبرياليين اليابانيين، ولكن صرت اليوم أنام ملء جفوني لأن رغبتي تحققت.

حقا، كم كانت رغبة الرئيس كبيرة وغيورة لتحرير الفلاحين من العمل الشاق.

صورة تذكارية

في أحد أيام حزيران/ يونيو عام ١٩٧٦، حين كان الأرز ينمو نموا قويا في سهل سوواون وهو يتشعب بنشاط، تعرف الرئيس كيم إيل سونغ على آن دال سو رئيس مجلس إدارة المزرعة على طريق التوجيه الميداني ودعا إلى إيقاف السيارة.

وسأله الرئيس كيم إيل سونغ بلطف وهو يرمقه بنظرة حنونة:

- هل نجحت زراعة هذا العام؟

- نجحنا في الزراعة.

- كم مساحة مغروسة بالأرز باستخدام الآلات؟

- لم نستطع غرس شتلات الأرز إلا بنسبة ٣ بالمائة لأننا قصرنا هذا العام في تربيتها.

أكد الرئيس كيم إيل سونغ على ضرورة تربية شتلات الأرز بمتانة وسأله «يمكن إنتاج الدبال بمزج قش الأرز المقطوع مع اليوريا، أليس كذلك؟» وهو يبدي بيديه حركة قطعه ومزجه.

بعد أن سمع الرئيس جوابه بأن قش الأرز يتعفن بسهولة بمجرد استخدام الآزوت الكلسي، أعرب عن ارتياحه وأثنى عليه قائلا «الرفيق آن دال سو دكتور زراعي. كل ما قال هذا الرفيق إنه ممكن ينجح تماما. عندما نناقش على هذا النحو، تولد طريقة إنتاج الدبال بالقش، أليس كذلك؟».

حدق الرئيس إليه وسأله بحنان «كم عمرك الآن؟».

حين استمع إلى جوابه بأن عمره يبلغ هذا العام ٦٥ سنة، قال له «عليك أن تواصل العمل حوالي ١٠ سنوات».

أدرك مشاعر أسفه على الابتعاد عن جانبه ودعاه إلى التقاط صورة تذكارية للقائه به بعد زمن طويل.

وابتسم ابتسامة عريضة شابكا برقة ذراعه اليمنى بذراعه اليسرى وأدار جسمه ليواجه أشعة الشمس.

عقب التقاط الصورة، قال الرئيس له «يتعين بناء المزرعة على أروع صورة ومزاولة الزراعة على أفضل وجه من أجل أبناء الجيل الصاعد أيضا.»

بعد أن غادر الرئيس كيم إيل سونغ المزرعة، أوصى بإحضاره إلى بيونغ يانغ لتلقي العلاج الخاص وإرسال حتى السيارة إليه قلقا على صحته.

أثناء خضوعه للعلاج في بيونغ يانغ أيضا، اتصل الرئيس هاتفيا بمسؤول المستشفى أكثر من مرة ليدعو مجمع المستشفى إلى أن يقبل على علاجه بحرص بالغ حتى يتماثل سريعا إلى الصحة.

حين عرف الرئيس أنه لم يخلد إلى النوم في فترة العلاج رغبة منه في معرفة حالة الزراعة، أمر بإرسال أحد كوادر المستشفى إلى المزرعة لإخباره بها بعد الاطلاع عليها.

شفي رئيس مجلس إدارة المزرعة آن دال سو تماما من مرضه خلال أكثر من ٧٠ يوما وعاد سالما إلى المزرعة.

اغرورقت عيناه بالدموع وهو يتطلع إلى صورة تذكارية التقطت له مع الرئيس كيم إيل سونغ.

حدث مبارك في قرية الجزيرة

ذات يوم من نيسان/ أبريل عام ١٩٧٧، حصل حدث ميمون في قرية مزرعة دوهوا التعاونية (آنذاك) بقضاء كايتشون لانتشار نبأ بزيارة الرئيس كيم إيل سونغ لها.

انطلق أهالي جزيرة دوهوا منذ الفجر مرتدين ثيابا احتفالية ولم يستطيعوا السيطرة على تأثرهم وانفعالهم.

هناك قصة فريدة مرتبطة بها.

قبل عامين، ضربت الفيضانات جزيرة دوهوا. راحت السيول التي تشكلت نتيجة ارتفاع منسوب مياه النهر بسبب هطول الأمطار الغزيرة لوقت طويل، تجتاز سدود الجزيرة حتى وقع أهالي الجزيرة على مفترق الحياة أو الموت.

في ذلك الوقت بالذات، سمع هدير طائرة الهليكوبتر من السماء حتى هبطت ثلاث منها على الجزيرة.

بعد أن تلقى الرئيس كيم إيل سونغ تقريرا عن وقوعهم في الخطر، أمر بإرسال طائرات الهليكوبتر والسيارات البرمائية فورا لإنقاذهم.

في فترة لاحقة، اتخذ الإجراءات لبناء الجسر المتين كيلا يتعرضون لأضرار الفيضانات إلى الأبد.

غير أن أهالي قرية دوهوا ما زالوا يعبرون النهر بالزوارق مكتفين بترتيب وتنظيف الجسر قائلين إنه لا حق لأحد استعماله قبل أن يقطعه الرئيس كيم إيل سونغ.

تلقى الرئيس من الكوادر تقريرا عن هذه الحقيقة وزار جسر ووندوك المبني حديثا، داعيا إياهم إلى التوجه إليه تلبية لرغبة الفلاحين في قرية دوهوا على الرغم من وعورة الطريق المؤدي إليه.

ما إن وصلت السيارة التي تقل الرئيس إلى رأس الجسر في القرية حتى انفجرت هتافات الحياة به.

تأمل الرئيس على المنظر العام لجزيرة دوهوا من على جسر ووندوك وهو يقول إن بناء جسر وودوك الجديد صالح لمرور أهالي قرية دوهوا في نظره، وسيكون الأمر أفضل عندما يتم بناء جسر جديد آخر يربط بين قرية دوهوا وقضاء نيونغبيون بمحافظة بيونغآن الشمالية فيما بعد.

تابع يقول إن قضاء كايتشون ما زال يملك وفرة من احتياطي الأراضي الجديدة، مضيفا أنه رأى كثيرا من البرك على جانب سد النهر أثناء قدومه إلى هنا، فيمكن الحصول على أراض جديدة بالقدر المطلوب إذا تم ردمها.

سأل الرئيس إلى أين تدخل مياه النهر عند هطول الأمطار الغزيرة وهو يجول ببصره على ما حوله.

أجابه أحد الكوادر بأنه ليست مشكلة حتى وإن حدثت الفيضانات، نتيجة إنشاء السد في محيط الجزيرة وبناء الجسر.

أثناء ملاحظته محيط الجزيرة، قال الرئيس إن قرية دوهوا مؤاتية جدا لزراعة الخضار، متابعا:

- إذا أجادت مزرعة دوهوا التعاونية زراعة الخضار، تتمكن من إمداد الخضار دائما للعمال والموظفين في منطقة كايتشون وإعلاء الدخل النقدي للفلاحين أيضا.

أردف قائلا إن مزرعة دوهوا التعاونية قادرة على إنهاء مشروع ري حقول الخضار قريبا إذا دفعته قدما بمساعدة العمال والموظفين في القضاء،

ولا داعي لحفر الآبار في المزرعة، مشيرا إلى إمكانية ري الحقول بالقدر المراد عن طريق ضخ مياه نهر تشونغتشون.

هكذا، فتح تاريخ جديد لزراعة الخضار في قرية جزيرة دوهوا التي اشتهرت جيلا بعد جيل بصعوبة الحصول على قطعة صغيرة من الفجل.

أسرة المكننة

في كانون الثاني/ يناير عام ١٩٧٨، عقد في بيونغ يانغ المؤتمر الزراعي الوطني بحضور الرئيس كيم إيل سونغ.

اشترك في المؤتمر زوجان من سائقي الجرارة العاديين في الريف وكان من المقرر أن تلقي الزوجة كلمة على منبر المؤتمر.

لم تتمالك الزوجة نفسها من شدة وجبان القلب.

عندما استهلت كلمتها، سمع صوت الرئيس العطوف في مكان المؤتمر:

- زوج هذه الرفيقة وزوجان لكل من أخوي زوجها وأخت زوجها، وأخو زوجها الآخر هم أيضا سائقو الجرارة.

عرف الرئيس مشاركي المؤتمر على أن تسعة من أهلها يعملون كسائقي الجرارة، وأعرب عن رضاه الفائق قائلا إن هذه أسرة المكننة وأسرة نموذجية للطبقة العاملة في الريف.

دعا الرئيس زوجة سائق الجرارة بحنان إلى مواصلة إلقاء الكلمة.

قدمت إلى الرئيس بصوت مخنوق تقريرا عن أن جماعة العمل التي يعملون فيها جنت محاصيل وافرة لا نظير لها بإجادة الزراعة كما أشار

إليه الرئيس كيم إيل سونغ وأن جميع سائقي الجرارة التسعة من أهلها تجاوزوا خطة حراثة الحقول بدرجة كبيرة، فضلا عن توفير كمية كبيرة من الوقود وقطع غيار الجرارات.

سأل الرئيس وهو يلتفت إلى أفراد منصة الرئاسة:

- هل يجلس زوج هذه الرفيقة على منصة الرئاسة؟

في تلك اللحظة، ساد المكان السكون الخانق.

لم يرد زوجها فورا على سؤال الرئيس لأنه لم يتصور حتى في الأحلام أن الرئيس ينادي زوج سائقة الجرارة الريفية وهو يستمع إلى كلمتها.

لم ينهض واقفا من مكانه إلا عندما ألمحه الجالس بجانبه.

قدم الرئيس زوجين من سائقي الجرارة إلى مشاركي المؤتمر قائلا «ذلك الرفيق زوج وهذه الرفيقة زوجة».

في تلك اللحظة، انفجرت التصفيقات المدوية.

دعاها الرئيس إلى متابعة الكلمة.

تطرقت الزوجة إلى عمل جميع أهلها كطلائع المكننة الريفية في الماضي بعد صيرورتهم سائقي الجرارة.

عندما تحدثت عن اعتناء زوجيها بالجرارة دون خلل واحد وحفاظهما على نظافتها كما لو أنها جديدة باستخدام نفس الجرارة خلال ١٣ عاما مضت، كافأها الرئيس بالتصفيق معربا عن ارتياحه البالغ وقال:

- يا له من أمر جيد. ما أفضل الأمر حين عملا دون أي خلل خلال ١٣ عاما.

لهج الرئيس بالثناء الفائق عليها لافتا إلى أن جمهوريتنا قوية ومزدهرة ويتم مكننة ريفنا بهمة ونشاط بفضل هؤلاء الأبطال.

بعد اختتام المؤتمر، تلقى هذان الزوجان من سائقي الجرارة

وزوجان لكل من أخوي زوجها وأخت زوجها الجرارات الجديدة التي أرسلها الرئيس.

الثورة في زراعة الأرز

ذات يوم من تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٨٧، توجه الرئيس كيم إيل سونغ إلى الحقل الاختباري لإحدى المزارع بقصد معاينة آلة بذر بذور الأرز مباشرة والتي أعادت المزرعة تحويلها حديثا.

ألقى الرئيس نظرة على الحقل الاختباري الذي تم سلفه والسهل الذي شهد محصولا وافرا وبلغ الحصاد فيه ذروته، وسأل عن كمية المياه المطلوبة في حقول الأرز، مشيرا إلى الحقل الاختباري.

قال الرئيس للكوادر:

- أرى من الجيد سقي الحقول بقدر ضئيل عند بذر بذور الأرز بواسطة الآلة. لا تنزلق الآلة جيدا دون أن يلتصق التراب بلوحتها السفلى إلا عندما يتم سقي الحقول قليلا بعد سلفها وترسيب الطمي.

ثم نزل الرئيس إلى ضلع الحقل حيث آلة بذر بذور الأرز.

بعد أن تفحصها بدقة، دعا إلى عرض ملامح عملها عليه.

بعد برهات، راحت الآلة تزرع البذور وهي تطلق الهدير الرتيب.

أثناء مشاهدته ملامح عمل الآلة، قال مشيرا بيده إليها إنه سيكون من الجيد تصنيع آلة بذر بذور الأرز مباشرة باستخدام اللوحة السفلى لغراسة شتلات الأرز كما هي عليه.

قال إنه سمع أن بذر البذور يجري بطريقة زرع البذور أولا من وسط

الحقل مع ترك محيطه لتدور الآلة عليه مرة واحدة، ثم زرع البذور على هذا المحيط في النهاية كما يجري عند غرس شتلات الأرز بالآلة، ونوه بضرورة الحيلولة دون حدوث الفجوات.

أضاف أن بذور الأرز تسقط هناك بكثافة ولكنها بالقليل هنا وهو يشير إلى المكان حيث انتهى بذر البذور بالآلة والآخر الذي على قيد بذرها، موضحا أنه يمكن إعادة غرس الشتلات في الفجوات في الحقول المغروسة بها، ولكن ذلك مستحيل في حقول الأرز المبذورة مباشرة.

تابع يقول «آلة بذر البذور مباشرة لا ترمي البذور على حد سواء، إلا أنه يجب بحثها وإكمالها بصورة أكبر مع حث المزارع التعاونية على إدخالها واستعمالها».

حدق الرئيس مطولا إلى ملامح عمل الآلة وقال إن هذا المستوى يعني النجاح وأجيد صنعها.

لم تفارقه دائما ابتسامة وضاحة لشدة سروره لإمكانية بذر بذور الأرز مباشرة بواسطة الآلة.

مشاهدة القيادة التجريبية للجرارة

ذات يوم من أوائل أيلول/ سبتمبر عام ١٩٨٨، زار الرئيس كيم إيل سونغ أحد مصانع الجرارات لمعاينة الجرارة المصنوعة فيه.

سأل الرئيس عن كفاية الجرارة وهو يمر يده على غطاء المحرك.

بعد أن اطلع على كفاية الجرارة وتفوقها، فتح باب قمرة سائقها ليرى بالتفصيل هل يكون مقعد السائق والمقود مريحين للقيادة.

أشاد الرئيس بالمصنع لتصنيع الجرارة بصورة رائعة وطلب من السائق تشغيل محرك الجرارة. بعد لحظات، أطلق هدير المحرك الرتيب.

هذه المرة، طلب الرئيس من السائق فتح الباب العلوي والخلفي للجرارة والدوران عدة مرات وهو يشير بيده إلى الباحة الأمامية برسم الدائرة.

بدأ السائق قيادة الجرارة مفعما بالسرور لأن يعرض على الرئيس قيادة الجرارة التي أنتجها أفراد الطبقة العاملة في المصنع.

عندما دارت الجرارة مرتين، طلب الرئيس إيقافها.

حين أوقف السائق محرك الجرارة، طلب منه إعادة تشغيله.

عندما أطلق هدير محرك الجرارة مجددا وهو يملأ كل أطراف الباحة، قال الرئيس إنه أكد منذ زمن بعيد ضرورة تمكين سائقي الجرارة من تشغيل وإيقاف المحرك في قمرة القيادة واستطرد:

- ... أجيد صنع غطاء قمرة قيادة الجرارة لإمكانية فتحها وإغلاقها. أحسنتم بصنعها كيلا يشعر السائق بالبرودة في الشتاء والحرارة في

الصيف، كما أحسنتم جدا بصنعها لإمكانية تشغيل وإيقاف المحرك بداخل قمرة القيادة.

مر الوقت أخيرا حتى خرج السائق بالجرارة عن باحة القيادة التجريبية.

فوجئ السائق حين التفت إلى الوراء نحو المكان حيث كان الرئيس كيم إيل سونغ لشدة الأسف على فراقه، لأنه كان ينظر من نافذة السيارة الجارية إلى ملامح قيادة السائق للجرارة المتقدمة في الأمام.

قال السائق بينه وبين نفسه: (أيها الزعيم الأب، كيف أستطيع؟).

حين هم السائق بتخفيف سرعة الجرارة، أومأ الرئيس برفع اليد خارج نافذة السيارة إلى مواصلة السير.

عندما وصلت الجرارة إلى الحقول التي يتماوج فيها بحر من سنابل الأرز بقطع حوالي ٤ كم، طالب الرئيس بإيقاف الجرارة.

ثم انطلق من جديد إلى طريق التوجيه الميداني وهو يلوح بيده بحنان نحو السائق وعلى محياه ابتسامة عريضة.

كان هدير محرك الجرارة الذي يتردد بقوة في سهل المزرعة التعاونية مرتبطا بالجهود المتفانية للرئيس من أجل تحرير الفلاحين من العمل الزراعي الصعب.

سبب عدم مغادرة الحقول

في باكرة صبح أحد أيام آب/ أغسطس عام ١٩٩١، زار الرئيس كيم إيل سونغ مزرعة وانغزايسان التعاونية (آنذاك) بقضاء أونسونغ الواقعة في أقصى شمال البلاد.

ترجل الرئيس من السيارة وعلى وجهه ابتسامة عريضة وأعرب عن ارتياحه الكبير قائلا إن الزراعة رائعة ولا شك أن الزراعة ناجحة.

قال مرارا إن زراعة الأرز رائعة وهو يتأمل حالة الأرز الذي نما جيدا، ثم نقل خطواته إلى حقول الذرة.

لم يرفع نظره مطولا عن حقول الذرة التي نمت جيدا ككل مثلما تتسابق بعضها مع بعض، وعبر عن رضاه الكبير قائلا إن زراعة الذرة ممتازة.

طالب بقطف كوز الذرة الرائع مشيرا إليه.

تلبية لطلبه، قطف أحد مرافقيه اثنين من أكواز الذرة وناوله إياهما بعد قشرهما.

بعد أن تناولهما الرئيس، حدق فيهما وقال بلهجة راضية: انظروا إلى هذا. كوز الذرة مليء بالحبات حتى رأسه.

أضاف أنه من الممكن تماما تناول الأرز المطبوخ وحساء اللحم إذا تمت مزاولة الزراعة كما تفعل هذه المزرعة، وسأل عن عدد الغرسات في كل بيونغ واستطرد:

- عدد غرسات الذرة مناسب حسب المعيار دون أن يكون كثيرا أو قليلا. هذه المرة مزاجي رائع جدا هنا. لا أرغب في المغادرة.

قال الرئيس إنه يرى لأول مرة مزرعة ناجحة في زراعة الذرة مثل مزرعة وانغزايسان التعاونية وتابع باسما بسرور:

- نمت الذرة على أفضل وجه في مزرعة وانغزايسان التعاونية أيضا. أثناء تجوالي في حقول الذرة حتى الآن، رأيت لأول مرة نمو الذرة جيدا هكذا، ما عدا الحقول في مزرعة رقم ٧. أكواز الذرة ناضجة جيدا.

في ذلك اليوم، جال الرئيس حتى في حقول فول الصويا والسرغوم لوقت طويل، ثم تأمل حقول الذرة مجددا وهو يثني على المزرعة قائلا إن الذرة نمت بصورة تبهج العين جدا وتابع:

- من المناسب أن أزور مزرعة وانغزايسان التعاونية للوقوف على حالة الزراعة بمحافظة هامكيونغ الشمالية فيما بعد.

لم يغادر الرئيس مقدمة الحقول بسهولة لشدة السرور بازدياد سعادة الشعب في تلك اللحظة، لحظة مشاهدة حالة زراعة الذرة.

«المستشار» الزراعي في سهل يونبايك

في الفجر المبكر من أحد أيام أواخر آب/ أغسطس عام ١٩٩٣، زار الرئيس كيم إيل سونغ مزرعة سوواون بقضاء بايتشون لمعاينة حالة الحصاد الوفير في سهل يونبايك.

كان درب الحقول مبللا تماما بندى الصباح.

دنا الرئيس ببطء من مقدمة الحقول على جانب الطريق ليتفرس في سنابل الأرز المبتلة بندى الفجر.

أشاد الرئيس بالمزرعة على الرغم من إحرازها النجاح الصغير قائلا إنها حققت المواسم الجيدة في الزراعة وكرر الثناء عليها معربا عن رضاه الكبير.

ثم رأى كوز الذرة المقطوف من الحقل وهو يتناوله بيده، قائلا بسرور غامر إن كوز الذرة ناضج جيدا حتى رأس قشره، وامتدح مجددا المزرعة لافتا إلى أنها أجادت زراعة الأرز والذرة على حد سواء.

بعد أن سأل الرئيس عن أقصى درجات حرارة المياه في هذه المنطقة عند ارتفاع درجة الحرارة الجوية، قال «من الجيد تغيير المياه في المناطق مثل قضاء بايتشون حيث درجة حرارة المياه في الحقول عالية في الصيف. لا يتشعب الأرز كثيرا وينمو بسرعة إلا عندما يكون الجو دافئا في النهار ومنعشا في الليل نظرا لخصائصه البيولوجية» وهو يشرح بصورة سهلة الفهم مشيرا إلى أن القصور في تغيير المياه آنذاك، على سبيل المجاز، أشبه بأن ينام المرء تحت لحاف مبطن بالقطن في عز الصيف.

بعد ذلك، زار الرئيس كيم إيل سونغ مزرعة كومسونغ التعاونية (آنذاك) بقضاء بايتشون.

أطال الرئيس النظر إلى حقول الأرز وهو يقول «زراعة الأرز ممتازة».

أضاف مفعما بالسرور أنه جاء اليوم إلى هنا بعد سماعه الخبر بنجاح الزراعة في سهل يونبايك ووجد الزراعة رائعة بالفعل، واستفسر عن الأعمال الزراعية واحدا تلو الآخر مثل أقصى غلال الأرز المتوقعة في كل هكتار وصنف الأرز المغروس وكمية التسميد المعمول.

سأل الرئيس كادر المزرعة بحنان عن سبب نجاح زراعة هذا العام.

أجابه الكادر بأن الفضل في ذلك يرجع إلى الرئيس كيم إيل سونغ الذي حرص على إرسال الأسمدة والأدوية الكيماوية والمياه والكهرباء كأولوية.

واصل الرئيس سلوك طريق التوجيهات الميدانية إلى مزرعة تشونتاي التعاونية (آنذاك) مرورا بمزرعة أوهيون التعاونية (آنذاك) بقضاء يونان.

كانت سنابل الأرز المنحنية المثقلة الناضجة تتماوج مع النسيم العليل في كل أرجاء سهل يونبايك الذي لا يحده البصر.

طلب الرئيس من السائق إيقاف السيارة أمام أحد حقول الأرز في مزرعة تشونتاي التعاونية (آنذاك).

في تلك اللحظة، وجه كادر المزرعة الذي كان هناك تحيته إلى الرئيس الذي ترجل من السيارة.

ودعاه الكادر بإلحاح إلى أن يتوقف عن السير على الدروب الريفية الوعرة بعد الآن، مبديا العزيمة على إجادة الزراعة وهو يصرح بأن ذلك رغبة عارمة للفلاحين في سهل يونبايك.

ضحك الرئيس ضحكة عريضة قائلا إن هذه الجولة التفقدية تتيح له فرصة التوجيه على أفضل وجه، فضلا عن كونها مفيدة للصحة.

أضاف أن سهل يونبايك يثير فضوله حقا وهو يتأمله وقد علت وجهه علائم الرضا.

حين أنهى الرئيس توجيهه الميداني لمزرعة تشونغزونغ التعاونية (آنذاك) بقضاء تشونغدان للمرة الأخيرة، مر الوقت بلا كابح حتى راحت الشمس تأفل إلى المغرب.

قال الرئيس لمرافقيه أنه يرغب في العمل كمستشار زراعي في محافظة هوانغهاي الجنوبية.

غادر الرئيس المكان واعدا بالمجيء إلى هنا مجددا إذا أجيدت زراعة العام المقبل.

* * *

ذات يوم من حزيران/ يونيو عام ١٩٩٤، توجه الرئيس كيم إيل سونغ إلى حقل الخضار في إحدى المزارع بمدينة بيونغ يانغ.

بعدما نزل الرئيس من السيارة، ألقى نظرة على الخضار الطري النضر الذي ينمو جيدا وعلى وجهه سيماء الرضا، ثم دخل ببطء إلى وسط الحقل.

كان حقل الخضار مزودا بآلة الرش البسيطة لريه.

لم يتحرك الرئيس في مكانه وهو يبتسم ابتسامة راضية ويعقد يديه خلف ظهره.

بعد قليل، هرول إليه كادر كان يعمل في البستان المجاور.

أمسك الرئيس يده دون تكلف قائلا «سلمت يداك. زراعة الخضار رائعة».

وعبر عن غاية سروره وهو يشيد بابتكار طريقة الري التي تعجبه، قائلا:

- أحسنتم بإقامة عودين خشبيين معقودين على صليب في الحقول بين مسافة معينة ثم مد الأنابيب البلاستيكية فوقهما لري الحقول.

...

إذا قمنا بري الحقول بالرش بهذه طريقة، يمكننا ري كافة حقول الذرة بالقدر المطلوب باستخدام منشآت الري الموجودة حاليا مقابل قليل من المواد والأيدي العاملة.

جال الرئيس ببصره على حقول الخضار الواسعة.

لاح أمام ناظريه بستان الأشجار المثمرة على الرابية الصغيرة التي يفصلها الطريق عن حقول الخضار وتنبعث منها رائحة الفواكه الذكية على متن الريح.

في ذلك اليوم، أكد الرئيس مجددا ضرورة تركيب شبكة الري بواسطة العودين جيدا في الحقول لحث جميع المزارع على إدخالها، ثم بقي واقفا على الطريق لبعض الوقت وهو يتأمل متهلل الوجه مناظر البستان الذي أخذت فيه الفواكه تنضج على أشدها وحقول الخضار المبتل بالمطر العذب.

أوقف خطواته مرات عديدة كما لو أنه متأسف جدا على مغادرة هذا المكان.

أخيرا، تبادل تحية الوداع مع الكوادر قائلا:

- حافظوا على صحتكم.

غادر الرئيس الحقول تاركا هذا القول بصوت رقيق وجهوري.

لم يستطع أحد أن يعرف أن هذا التوجيه الميداني لهذه المزرعة سيغدو آخر توجيه ميداني له.

هكذا، مرت حياة الرئيس كيم إيل سونغ بطولها على طريق التوجيهات الميدانية التي لا حدود لها.

أصداء في الحقول

تأليف: ري جونغ نام، باك تشول جون
تحرير: آن سو يونغ
ترجمة: رو سونغ كوم
الناشر: دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
الإصدار: حزيران/ يونيو ١١٣ زوتشيه (٢٠٢٤)

رقم : ٢٤٠٨٨٠١٦٢٨٩٧

E-mail: flph@star-co.net.kp
http://www.korean-books.com.kp

دار النشر باللغات الأجنبية
جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية
١١٣ زوتشيه (٢٠٢٤)

ISBN 978-9946-0-2268-0